

(فهرست الكتاب)

صحيفة

٢١

خطبة الكتاب

الباب الاول في ذكر ما يتعلق في مدينة قلقوطة ٤
 المسماة ايضا كلاكتة وسواحل نهر اوغلي وعمارات
 تلك المدينة وحاراتها وما فيها من جمعية الاداب
 الشرقية والمدرسة السانسكرتية ومجامع امناء
 الدين والعوائد الهندية والخدمة من اهلها وكيفية
 المعيشة فيها وجلب الطائفة المسماة كويس الى
 خارج بلادهم وبيان ما يتعلق بمدينة سرامبورغ
 وشنادر ناغور

الباب الثاني في ذكر السفر في نهرى باغيراى والكنتك ٢٦
 وذكر مدن مورشد آباد وراجهاى ومونغير
 واصطبلات مدينتى غازيپور وبوكسار ومدينة
 بيناريس وهيكل سرمات وصنم مدينة بينارى
 المسماة لات ومدرسة بيناريس وكتب اللغة الهندية
 القديمة التى بخط اليد ومدينة الاله آباد ومدينة
 كنبور وموسم رامه وسحرة الثعابين المعروفين
 بالحواة والكلام على البانديتية وخسوف القمر

وكيفية

صحيحة

وكيفية السياحة في بلاد الهند ومصاريف
السفر

الباب الثالث في الكلام على مدينة اغرا والمدفن ٥١
المسمى تاجها ل وعصن اغرا ومدرستها ومدني
ماثورة وبندر باند وكريشستا واللبانات والقردة
وغات بندر باند وهياكلها والاموات المطروحة
في الازقة وقراءة اللسان السانسكريتي وصعوبة
تحصيل الشخوص المسماة مدالية والنقوش
المرسومة على ألواح النحاس وعلى مدن ديج
وبورتبور وغداوند وفتاجبور سكري وعلى المنظر
العام للبلاد المجاورة لمدينة اغرا وكيفية البناء
والتصوير والنقش عند الهنود وعلى مدينة
قانوج ومن بهامن البراهمة وبائعى المرباط وعلى
المداليات الكاذبة

الباب الرابع في ذهابي الى مدينة دلهي وزيارتي فيها ٦٨
للورد الحاكم وذكري الجنرال وتثورة والمبادرة بالسفر
الى لاهور وعبور نهر موتليجة وذكري كاپورتيله
والصوص الليل وزيارتي لسردار كاپورتيله

صيفه

ووصولي الى لاهور واجتماعي بجناب الملك
رانجيت سنغ وذكر الايات المضبوطة على
منوال الضبط الفرنسي وبيان نظام الادارة
في بنجاب وما جمعه كل من الجنرال كورت والجنرال
وتتورة من المداليات وذكر الباندي الاعظم الذي
بمعية رانجيت سنغ

الباب الخامس في سفرى من لاهور الى كشمير ٨٥
والكلام على وزير اباد وغوزارات وغوزونواله
وعلى قارورات دفن والد رانجيت سنغ واحتفال
جنائز الهنود والسجنس وعلى بنبر وعلى معاملة
النساء في الهندستان وتحرير قتل الاشرا
في الطرق وعلى الزواج في الهند وعلى وادى راجور
ومنبع المياه الكبرى وعلى ما يقوله الهنود في شأن
الدول الافرنجية وعلى ضرورى من پير بانجبال
وسراية الباباد ووصولي الى كشمير

الباب السادس فيما يتعلق بالكلام على مدينة كشمير ١٠٤
وعلى القبة المشيدة فوق الجبل وبيان معتقد سكان
هذه المدينة في طالة واديا الاولى وذكر ما يتعلق

بسيدينا

بسيدنا سليمان عليه السلام ووصف كاسيابه
وعلى الآثار القديمة وعلى الرقصات وعلى بندي
كشمير وذكر الموانع التي عاقبتني عن اتمام
هذه الرحلة

١١٤ الباب السابع فيما يتعلق بسياحتني في داخل وادي
كشمير وبمدينة بنبور وبالبركة الموجودة بقربها
وبهيكليها الهندي وبحدود غيطانها وآثارها
ونقوشها القديمة وبمدينتي بيدجيار واسلام اباد
والآثار القديمة التي توجد فوق سفح جبلها وبمدينة
موتون ومغاراتها وبمدينة ورناغ وبالحجر المتكون
من النار والتلج وبمعادن ذلك الوادي ونعابينه
ودبابه وسباعه ونمورته الكثيرة الوجود في كشمير
وتخطيطات السياحين الاول لهذا الوادي وخبر
موت الملك رنجيت سنغ وبالنساء البيخية والهندية
اللاتي يلقين بانفسهن في النار عند احراق ازواجهن
وسياحتني في الغرب من هذا الوادي والهياكل
القديمة وبمدينة بارموله وخط كامراج وقنة جبل
بالارامة وورشة الشيلان الكشميرية ومحصولات

صحيفة

وادی کشمیر وعظمة تنائجہ وقرسکانه وربعه
السیاح فیما فیہ من الآثار واداب اللغة القديمة
وآداب الهند

الباب الثامن فیما تعلق برجوئی الى مدينة لاهور ١٣٨
وبغدران تانسیر وبالخان المعتمد لزول الغرباء فیہ
ومدينة دلی وبآثارها القديمة وبالآثار المسمیة
كوتوب ومدينة فیروز شاه لان وبالکھوف
وبطائفة الباریاس وبالفقراء الذین یأكلون رمم
الادمین ومدينة لوكتو ومدينة قسطنطینا
والاصنام الیونانیة والاصنام الحادیة وبتربة
الطیور ومقاتلة الفیلة وباللصوص المسمین قوغ
ومدينة فیزاباد وبمملكة اود ومدينة سلطانپورغ
وبالریاح الحارة وبتزول الامطار الدورية وبقصائد
الشاعر المسمی رینگ ویدا واخلق واطباع اهل اقلیم
بنغالۃ الواطی وبرجوئی الى مدينة قلعوطة

بيان الخطأ والصواب الواقع في هذا الكتاب

خطأ	صواب	صحيفه	سطر
شهدت	شاهدت	١٧	٨
الحرب	الحروب	٢٣	١٠
النفل	التفكر	١٠١	٤
منجمد	منجمدا	١٢١	•
فلبت	فلبت	١٤٥	١٤
امل	أو مل	١٤٦	١٥

كتاب
سياحة الهند

(بسم الله الرحمن الرحيم)

ان أبعج ما تحلت به الطروس * وخير ما تنافست به نفائس
النفوس * حمد من تفرد بالاحاطة باحوال الكائنات *
وشكر من اختص بعلم جميع الجزئيات والكميات * وصلاته
مع التسليم * على نبيه الكريم * من شرفه برؤيته بلا انحصار
ولا كيف * وانزل عليه لا يلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء
والصيف * افضل من هاجر وارتحل * وعن وطنه تحوّل
وانتقل * وعلى آله واصحابه * وانصاره واحبابه * الذين
طافوا في الجهات لفتح البلاد * وساحوا في الارض لارشاد
العباد * ثم الدعاء لعزیز مصرنا * وغرة جهة عصرنا * من

اظل

اطل الديار المصرية بظل الامان * وأفاض على اهلها بحار
 الاحسان والعرفان * من هو الفرق الثاني * في افق الصدارة
 العثماني * حضرة الحاج محمد علي باشا * بلغه الله في الدارين
 ما يشله وما شا * اما بعد فيقول راجي رحمة ربه القدير *
 ابراهيم مصطفى المشهور بالبيع الصغير * هذه خدمة يسيرة *
 وتعريب رحلة صغيرة * للمؤلف اوبريرولد * ألفها
 في سياحته الى بلاد الهند * وجدت في كتبخانة حضرة اليك
 المفخم مدير المدارس * التي هي في الديار المصرية من ايتع
 المغارس * من اجابته السعادة بليك * سعادة امير اللواء ادهم
 بيك * لازالت كواكب سعوده في مماء المعالي ساطعة *
 ولا برحت شمس معارفه في افق المدارس طالعة نافعة *
 فصدر الامر بترجمتها من الديوان * الى حضرة علامة الزمان *
 من رقي في مراتق الشرف ارفع محل واعظمه * حضرة امير
 الالاي رفاعة بيك ناظر قلم الترجمة * فعينني حفظه الله لترجمتها
 من اللغة الفرنسية * وافراغها في قالب اللغة العربية *
 فشمرت في تعريبها عن ساعد الجدة والاجتهاد * راجيا
 من الله تعالى التوفيق الى طرق السداد * ومؤملا لحسن
 القبول * وشمول النظر على وفق المأمول * فأقول وما توفيق
 الا بالله * في ابتداء امرى ومنتهاه * قال صاحب الاصل

* (الباب الاول) *

في ذكر ما يتعلق بمدينة قلعوطة المسماة ايضا كلكتة وسواحل نهر اوغلي وعمارات تلك المدينة وحاراتها وما فيها من جمعية الآداب الشرقية والمدرسة السانسكريتية (اي التي يتعلم فيها لسان الهند القديم) ومجمع امناء الدين والخوايد الهندية والخدم من اهلها وكيفية المعيشة فيها وجلب الطائفة المسماة كويس الى خارج بلادهم وييان ما يتعلق بمدينة سرائبور وشاندرناغور

كان ابتداء رحلتي في البحر من مدينة غراوسند في العاشر من شهر اغسطوس سنة ١٨٣٧ من الميلاد وقد كنت اود أن اسافر في سفينة من سفن الدولة الانكليزية على طرف الميرى فلم يتيسر لي ذلك فاستمرت السفر على طرفي في سفينة من السفن الانكليزية مؤملا أني اجتمع فيها ببعض اناس ممن سافروا الى تلك البلاد واستوطنوها وصار لهم فيها وظائف وخدم فأستعين بهم واسترشد بنصائحهم واشبهتهم عضدي في ادراك ما أنا بصدد من الرحلة الى تلك الجهة فقطعت مسافة من البحر وانا على احسن حالة ثم خرجت على قلعوطة في السابع عشر من شهر دقبر من السنة المذكورة

وهذه المدينة واقعة على نهر صغير يقال له اوغلي وهو
 فرع من فروع نهر الكنك تصعب فيه الملاحة جدا لاسيما
 الصعود في فصل الشتاء الذي هو في الغالب وقت تسلطن
 الرياح الشمالية على هذا النهر وفيه مراكب بخار لخر السفن
 بالاجرة واجرتها في اليوم اربعمائة من النقود المسماة ربية
 (وقدرها ألف فرنك)

ونهر الكنك يتقسم عند مصبه الى فروع لا تحصى كثيرة منها
 فرعان اصليان يحيطان ببقيّة الفروع ويتكون بينهما قطعة
 من الارض على شكل زاوية تسمى الدلطة الهندية
 وهذا الجزء من الساحل لا يمكن الوصول اليه ويسمى
 عندهم ساندر بند والربانية اى رؤساء السفن يكتنون تجاه
 مصب النهر المذكور في سفن صغيرة معتنى بتنظيفها على
 ما ينبغي وهم يحكمون من طرف القمبانية الانكليزية لتلقى
 المرضى الذين يأمر لهم الاطباء باستنشاق هواء البحر
 فيمضون بها عندهم بعض اسابيع ويدفعون لهم مبلغا من
 الاموال في نظير خدمتهم ومووتهم فهذا هو اصل اكتساب
 هؤلاء الربانية الذين هم في سعة من العيش ولهم خدم واتباع
 بحيث اذا ارادوا الذهاب الى قلعوطة ذهبوا اليها في نفر
 عظيم من اتباعهم

ومن مدخل هذا النهر يأتي ضابط من ضباط ديوان الجمرل
ويمكث في السفن التي هناك وهؤلاء الضباط وكذلك الربابية
لامشابهة بينهم وبين ضباط الجمرل والربابية بأوروبا فان
من رأى هناك قبانية الانكليز تعجب من أول وهلة من
اتساع دائرتها وكثرة مصالحها وخدمها ولا يجد في ديوان
الجرمل من موجبات السامة والفجر ما يجد في بلاد أوروبا
بل يصدق اهله كل ما يدعيه المسافر وقل أن قتشوا مامعه
من الامتعة والبضائع *

وشواطئ نهر الكنك مغروسة بالاشجار اللطيفة المورقة
دأما وفي وسطها اصنام واخصاص هندية ومنتشر فيها خائل
من اشجار جوز الهند والنخل والموز يجلس تحت ظلالها قوم
سود اللون يخاف الاجسام يأتون اليها في زوارق ويبيعون
للمسافرين مامعهم من ثمار المدينة وفي اوقات الدعة
والبطالة يغتسلون في النهر فينزلون فيه جميعا رجالا ونساء كبارا
وصغارا ويتنظر بعضهم عورة بعض بدون حياء ولا خجل
فكان سواد لونهم يقوم عندهم مقام الساتر كما قاله الاسقف
ايير ويسمع لهم في الليل على بعد غناء يصحبه صوت آلاتهم
المسماة قمتام ويصحب ذلك ايضا عواها ابن آوى الشبيه
بصوت النائح الحزين واذا انحسرت مياه البحر انكشفت

شواطئ النهر فتأني اليها تماشيح كبيرة يقال لها كاثمان
 قنغمس الى اوساطها في احوال تلك الشواطئ حتى يظهر
 للناظر من بعد انها سوق اشجار مطروحة فقد اتفق أن شابة
 مقنعة الوجه مرتت قريبا من احدها التماسيح فما كاثما
 شعرت بذلك لعدم ما يدل على حيوانيته من التحرك وغيره
 واذا قربت من قلقوطة وجدت حركات السفن الصاعدة
 والمنحدرة لاسيما السفن الصينية ذات الشراعات الملوثة
 وكذلك القرى اللطيفة المبنية على الشاطئ تجعل لتلك
 الارض منظر آخر ظريفا له في النفس موقع عظيم لكونه يعقب
 منظر البحر الدائم الموجب للخبير والممل وبالجمله فهذا المنظر
 الجديد الذي لا يعرف الى الآن الا في مجرّد الرسم والتخطيط
 يورث العقل افكارا غريبة ويحدث في الفكر تصورات عجيبه
 فن ثم كنت لاسأم من تردد الطرف نحوه وادمان النظر اليه
 غير أن به من جهة اخرى ما يعكر المزاج ويشوش الخاطر
 وهو مشاهدة الرم التي تتلاعب بها الامواج وما يشم من
 رائحة الموتى الذين يحرقونهم على الشواطئ وتردحم عليها
 الكلاب والغربان والنسور بل تجد هاهنا نفس المدينة سايحة
 حول السفن فكل هذا المنظر الذي لا يتغير هو مما يشوش
 خاطر من كان رقيق المزاج من اهل اوروبا حتى ان ذلك

يمنعهم من شرب ماء النهران فقراء الهنود يلقون موتاهم
في الانهار بخلاف اغنيائهم فيحرقون من مات منهم قننشر
رائحتهم الى اماكن بعيدة وليس تشويش الخاطر لمجرد كون
هذه الرائحة كريهة جدا بل لكونها ايضا تدكر من يشمها
هذه العادة الذميمة

ثم ان مدينة قلقوطة تسى عندهم مدينة القصور
لعظم بيوت اعيانها وفيها كثير من آثار الفنون
والامور النافعة وفيها ايضا مناجر لمد السفن ومعامل الحديد
وورش لعمل آلات الواورات وقطعة وسراية لاقامة الحاكم
وكنايس وأرصفة ودوان بجره وضرب بخانة وبانكه وبرك
يكتنفها مستزهاة وفيها ايضا مدارس واسبتالية ومسندي
لاعيان المدينة ومحكمة لفصل الدعاوى وتبتر اى ملعب
وعمارات اخرى غير ذلك ولا شئ من هذه العمارات غريب
البنيان حسن الهيئة غير انها من حيث مجموعها لطيفة
مستحسنة * وبمجرد الوصول الى تلك المدينة ترى الحصن
وحداثق خوراني المتسعة والعمود المرتفع في وسطها
وما يكتنف ذلك من البيوت اللطيفة وسراية الحاكم وصواري
السفن السائرة لكثرتها مياه النهر كل ذلك يتكون عنه مستز
عظيم من اطراف مستزهاة الدنيا * وبالجملة فمدينة قلقوطة

هي بلانزاع الطف مدن الهند على الاطلاق وان كان ما فيها
 قريب عهد بالتجدد والحدوث
 ومساكن الخواص فيها تشتمل على ايوانات واعمدة وازجة
 وقاعات متسعة لتلقى الناس ومما يزيد اعظما وبهجة ساذجية
 اثائها وفرشها وسطوح بيوت تلك المدينة مستوية بحيث
 تصلح للتريض والفسحة وبيوت اهلها المتأصلين بها تحتوي
 على ححن فيه حوض ماء لاجل جلب الرطوبة والطراوة
 في داخلها وعلى ازجة مكشوفة مشرفة على الاصحن
 بحيث يمكن للنساء التريض والفسحة فيها بدون أن
 ينظرن احد

وازقة هذه المدينة ليست على نمط تلك العمارات في الرونق
 والبهجة فانها عادة تحتوي من احدى جهتيها على جدول
 ماء جار يتردد اليه اهل المدينة لاجل التنظيف وتحسين
 الهيئة ومن الجهة الاخرى على جدول ماء راكد يكث
 في مقتر واحد عدة اشهر وله رائحة كريهة تضرب بحة اهل
 المدينة * ومن الغريب أن الانكليز يتحملون مثل هذه
 الوخامة مع أن لهم في غير ذلك مزيد اعتناء واهتمام ومعظم
 نظافة الارقة وازالة القاذورات هناك موكل اطير الكركي
 فلذا كان هذا الطير تحت حماية الضابطخانه الانكليزية

وكل من تعرض له بالقتل يدفع مفر ما معلوما
وعلى الشاطئ الآخر من النهرستان نباتات متسع يتردد
اليه الناس قليلا وارباب الادارة هناك يحسنون ملاقة
من قدم عليهم من السياحين ويقابلونهم بالترحيب والبشاشة
واسباب التعلم والتعليم هناك ميسرة مسهلة
ثم ان المحل المعتمد لمجالس جمعية الآداب الشرقية يشتمل على
تحفيظة وخرانة للتاريخ الطبيعي وعلى كتبخانة لم تزل تزداد
فيها المكتيب وتتجدد بتجدد الايام وقد صغر هذا المحل الآن
عما كان عليه سابقا وتجدد في صحفه مقدار اعظم مما من التماثيل
والاحجار المنقوشة بالكتابة وهذه الجمعية التي أسسها
سيروليام يونس لتكون مركزا لجميع المعارف التي تعود
بالنفع على بلاد الهند قد وفيت بما كان يؤمله منها مؤسسها
حيث جاءت على طبق مرامه بالكلية فان علماء الآداب
والآثار القديمة وعلماء الطبيعة وكذلك ارباب الحرف
والصنائع يجتمعون فيها ويأتون اليها بثمرات اعمالهم
واجتهاداتهم وفي هذه الازمنة الاخيرة قويت الرغبة
في العلوم الطبيعية حتى صار يخشى من ذلك على الآداب
أن تعطل وتفسد عن التقدم بترك ممارستها ومطالعة كتبها
بل تعطل نشر الكتب السانسكريتية لكن بمجته تعالى

لم يمكث ذلك مدة طويلة فافى لم افارق مدينة قلقوطة
حتى شكرت ارباب الجمعية على ازالة هذا التعطل واثبت عليهم
الشناء الجميل وفاء بحق شكر تلك النعمة الواجب على كل
راغب مشولع بالآداب السانسكريتيية فان الفضل لهم
في هذا الصنيع لاسميا عيسى برنسيب الذي جمع بين معرفة
الآثار القديمة وعلم الطبيعة فانه لم يال جهدا في هذا الغرض
المجود ولكن من سوء الحظ كان هذا آخر المجهودات التي
بذلها في توسيع دائرة العلوم هذا الخبر الذي اشتهر بكثرة
المعارف على اختلافها وعرف بحسن الاخلاق ولطف
الشمايل

وفي المدينة ثلاث مدارس كبيرة احدها المدرسة
السانسكريتيية والثانية مدرسة المسلمين والثالثة المدرسة
المعدة لتعلم لغة الانكايز والهند * فاما الاولى فيتعلم فيها لسان
الهند القديم بسائر فروعه فيقرأ فيها من النحواجر ومية
المؤلف ووبدوا ويقرأ فيها ايضا علم البيان والاحكام
الشرعية والعلوم الرياضية والهيئة وقد حضرت في هذه
المدرسة بعض دروس فوجدت التلامذة فيها لا حرج عليهم
في التكلم والتنقل من موضع الى آخر مع أن السكون والزانة
من خصوصيات اهل المشرق الا أنهم لا يحثون على ذلك

في مدارسهم * والپانديتية اى المعلمون لهذا اللسان ينطقون
 بألفاظ اللغة الخاصة بالعلوم كما ينطقون بألفاظ اللغة العامة
 المتداولة بين الناس وهو نطق وحشى فاسد مخالف للحدود
 المقررة في النحو خال عن التناسق والاتلاف فتراهم ينطقون
 بأحرف الصفر الثلاثة كالحرف الذى مخرجه اللسان وهو
 الشين ولا ينطقون بالالف المقصورة في اوساط الكلمات
 ولا في اواخرها ويعوّجون افواههم تعويجا عنيفا عند
 اختلاس الحركة او الوقف على حرف الغنة * وتلك الدروس
 يحضرها الناس كثيرا وهذه التربية التى هى عبارة عن
 علم بلا عمل لا يترتب عليها ثمرة فان التلامذة بعد خروجهم
 من المدرسة بقليل لا يعتنون بشأن ما تعلموه فيها كما يقع ذلك
 عادة ببلاد اوروبا في شأن دروس المدارس الكبيرة
 واغلب شيوخ الپانديتية لا يتكلمون الا باللسان
 البنجالى بخلاف الشبان فان اكثرهم يتكلم باللسان
 الانكليزى وقد اخذت واحدا منهم لاجل القراءة عليه
 فوجدته لا يقدر على توضيح ما خفى معناه من العبارات
 النحوية واخبرنى أنه انما تعلم النحو بمجرد الحفظ من غير تعقل
 لمعناه كبقية اخوانه وانما كان يحسن تفسير غير ذلك
 من عبارات الكتب السانسكريتية وكان كالاخرس

بالنسبة لما يخص الدين فكان لا يتفوه في هذا المعنى بشئ
وابى أن يطالع معي الجزء الثاني من كتاب مانو لكون
شرحه يشتمل على بعض كلمات من ويدا (هو كتاب عقائد
الهند ودياتهم) ولكنهم يتساهلون مع اغنياء الانكليز اصحاب
المناصب العالية ولا يدققون معهم كغيرهم فلذا استعان بهم
الانكليز على تراجمهم الاولى وتأليف كتبهم الاولية في النحو
وعلى تأليف قواميسهم ومن ظن أنه يكتسب منهم شيئاً
بالمخاطبة والملاطفة فذلك منه محض غرور لا طائل تحته

ومما يشهد لذلك أنه كان معي عدة مكاتيب من طرف موسيو
نورواير احد ضباط الجهادية الى رجل من اغنياء اهل
قلقوطة وعظماء اعيانها المعبرين يقال له رضا كنتيب
وكان قد ألف قاموساً واهدى منه الى كثير من الناس
فطلبت منه نسخة فلم يسمح لي بها فقبل لي ان توجهك الى منزله
وسعيك لزيارته هو الذي قعد بك عن الاعتبار لديه ووجب
استصغارك في عينيه وهذا هو الواقع فانه لا يفوز بمرامه
عند اهل الهند الا من كان ذا ثروة وشوكة

وكثير من اهل الهند من يتعلم اللغة الانكليزية والهندستانية
والفارسية ليمتقلد بالوظائف والخدم التي لا بد فيها من
معرفة هذه الالسن

وهناك جمعيات معدة لنشر الدين وتوسيع دائرته الا انها قليلة الجدوى وقد ذكرلى جماعة من الطائفة القسيسية الانكليزية انهم شاهدوا انتشار الدين القاتوليقي الرومانى مع قلة الاعتناء بشأنه هناك ولما كان للعامة من الالهالى ميل شديد الى الظهور بمظهر الابهة والتحلل بالحلل الظاهرية وكان لقسوس الطائفة الانكليزية فى سائر الجهات خدم وحشم وكان لهم فى دعاء الهنود الى دينهم طرق اشده فى التأليف والاستمالة مما يسلكه فى ذلك الفقراء المتقشفون من قسوس الفرنساوية وجب أن نقول ان الذى اوجب قلة نجاح الجمعيات القسيسية فى دعوتهم انما هو قسوتهم وتشديدهم فى التضيض على قراءة الانجيل وحيث كان الهنود يقرؤن التوارىخ الاثرية النصرانية من غير أن يتعلموا قبلها ما يستعدون به لقراءتها من المبادئ كانت لا تنفع فى ارشادهم كما لا تنفع فى ذلك ايضا توارىخهم الهندية على أن بعض تلك التوارىخ تمجده طباعهم ولا يلايم عقائدهم وبالجملة فالظاهر أن الاديان عندهم على حد سواء واما رفض الديانة الهندية واجابة داعى النصرانية فاما وقع ذلك من اغلبهم فى زمن القحط والمجاعة حين كان الدعاة يجمعون كثيرا من اليساى لاجل تربيتهم وادخالهم فى دينهم

والجمعية في قلقوطة تؤلف من عدد كثير ويحتفلون
احتفال الفرح والمسرّة فاذا قدم الحاكم الى المدينة ذهب
الناس لزيارته كل اسبوع واكثروا من الرقص حتى ان
الانكليز الذين في بلاد الهند يملون جميعا الى مثل هذا الرقص
وتستحسنه اذواقهم ويسمونه بالخط الفرنسي مع أنهم
يجزمون بأن كثيرا منهم بالنظر لسنه ومقامه يصير
بالليل الى ذلك عند الفرنسيات من قبيل الهزؤ والسخرية
ويحضر في جمعيات الهنود بعض اعيانهم حتى ان الحاكم
نفسه يذهب عند بعض الناس في الولايم والمواسم فقد ذهب
في مثل ذلك الى دواركانوت طاغور وهو من اغنياء التجار
وكان منذ قليل قد سافر الى مدينة باريس وعده
الفرنساوية من امراء الهند

وعوايد الهند القديمة لم تزل باقية على قوتها والمحافظة عليها
غير أنه يحصل في اجرائها نوادر عظيمة فالشرائع عندهم
تخص كل طائفة بوظيفة فتخص طائفة البراهمة بمطالعة
كتب الدين المسماة ويدا وتدرّسها وطائفة الكشاترية
بالحرب ومحافظة المدن والاهالي وطائفة الويسية بالتجارة
والسدريّة بالانقياد الى الطوائف الاخرى وامثال اوامرهم
وتمنع الاكل من طعام جهزه واحد من الطائفة الدنيا فيؤخذ

من ذلك أن اغنياء الهند لهم طباخون من البراهمة وبوابون
من الكشاترية وهاتان الطائفتان يقومان ايضا بهاتين
الخدمتين اي خدمتي الطباخة والحرس للسياحين من اهل
اوروبا وهنالرجل شهير وهو رضا كنيب المتهتم وهو
وان كان من طائفة السدرية الا انه ذو ثروة عظيمة وفي خدمته
كثير من البراهمة وله اعتبار عظيم عند الهنود وانما وصلت
اليهذه النعمة لسعده ووفور حظه اذ قوة تأثير الدرهم
والدينار * واحدة في جميع الاقطار * وهناك كثير من فقراء
البراهمة يتكسبون باشتغالهم وتشبههم بالحرف والصنائع
حسبما اوجبه الشرائع على فقراهم وقد عرفت منهم جماعة
بعضهم سواق عربات وبعضهم جمال تحتروانات * والهنود
قائمون بما عليهم من الاغتسالات التي كلفتهم بها ثرائعهم
فياخذون الماء مرارا ويتضمضون به ويغسلون اعينهم
فنهر اوغلي وان اشتهر أنه من فروع نهر الكنك المقدسة
عندهم الا أن واضع شرائعهم لم يلتفت الى مياهه المعكرة
بالطين والاوخال والامانذب الى الاغتسال بها قطعاً واهل
البلاد ينزلون فيه بشياهم ويتركونها تجف على ابدانهم
ولو في فصل الشتاء الشديد البرد الذي تتأثر منه الافرنج
(المتعودون على تحمل مشاق البرد لبرودة بلادهم) وفي جميع

أما كن المدينة تجدد تماثيل معبودهم المسمى سيوا
 وغيره من آلهتهم فيجثو العباد على ركبهم أمامها على رؤس
 الأشهاد ويكثرون من التلقوى والتعوج وترى في المدينة
 ايضا من ابناء الطريقة المسمين بالفقراء من ينذر على نفسه
 أن يمشى رافعا ذراعه الى اعلى او يمشى على ركبتيه ومنهم من
 ينذر على نفسه امورا اخرى من هذا القبيل وكذلك
 تجد فيها اثارا مباركة عندهم يطلقونها تمشى حيث شاءت وقد
 يطلقون سراحيها اذا عرض للعائلة امر مهم وقد شهدت من
 مواعيدهم الدينية موسما يسمى بوجا فرأيت فيه اناسا من
 ارباب الحمية الدينية يربطون انفسهم بواسطة خطاطيف
 من الحديد يغرزونها في اجسامهم على خشبة متحركة
 ويدورون بدورانها وهم معلقون بها ويشرون على الحاضرين
 ازهارا وترابا احمر وتراهم يتبسمون مدة سيلان الدم من
 جروحهم وحكامهم من الانكليز يقرؤنهم على هذه الاوهام
 الفاسدة واذا اودوا في امر دينهم فلا بد وأن يموت منهم اناس
 شهداء في حب الدين

وقد وصل الانسان الى مدينة كلكتة جاء اليه عدد عظيم من
 الخدم الهنود ومعهم شهادتنامه من ساداتهم الا فرج الذين
 يدعون أنهم كانوا في خدمتهم * وهذه الشهادتنامه

يستعبرونها ويبيعونها من بعضهم ولا يعرفون مضمونها وربما كان فيها ما يدل على مخالفتهم وخبثهم وآحاد البحارة والخدم الافرنج يثنون على خدم الهنود ويمدحون خدمتهم * وقد تلقب خدم الافرنج الذين ارتقوا الى درجة السيادة واتخذوا لهم خدما بلقب تشرنيق هناك وهو كلمة صاحب (ومعناه سيد) ويذهبون لاجل الرياضة والنزاهة بالمدينة في تحتروانات * وفي هذا الوقت (اي وقت الوصول الى المدينة) يأخذ القبودان وضابط السفينة خدمهم من الهنود لان نفوسهم تأبى استخدام الافرنج ويستعظمون أن يروا الافرنج خادما * وما يخص الادارة من المصالح والوظائف الهينة ينسبها به اناس من الهنود لهم معرفة باللغة الانكليزية * وكثير من التجار من يتكلم ايضا بهذا اللسان الذي يتشبه هناك في كل سنة اكثر مما قبلها * وبعضهم يتكلم بالفرنساوية * ويسهل على من تورط في مشكلة بمدينة كلكتة أن يتخلص منها بواسطة معرفته للسان الانكليزي وبعض كلمات من لسان هندستان اوردو * واكثر اللغات اتساعا في بلاد الهند هي اللغة البنجابية التي يتكلم بها الهنود الا أنه قل أن تدعوا الحاجة الى استعمالها * والتجار يعرفون اللغة الانكليزية والسيوخ البانديتية هم قليلوا

المخالطة مع غيرهم * والذي اراه أن معرفة لسانهم ليس لها
كبير جدوى

وفي مدينة كلكتة منازل خانات عظيمة ومتاجر فاخرة
مما يتحصل في مدائن اوروبا الكبيرة فهي وصاله بين اخلاق
الافرنج والهنود * ويتنفع السياح بالاقامة فيها مدة اتقاعا
عظيما * فانها زيادة على ما يستفاد فيها من انواع المعارف
يرغب فيها ايضا لما احتوت عليه من التحفانة والكتبخانه
وبستان النباتات * وصنائعها وتجاراتها عظيمة جدا وتعتد
بها المحافل والمواسم وفيها اوهام دين البراهمة وعقائد
الاسلام * ولا يمنع اهلها الافرنج من الحضور في المواسم
التي يعملونها بمنازلهم في الازمنة المعينة لها بمقتضى دياتهم
واظن أن هذا الترخيص لا يقع للافرنج في غير هذه المدينة
من البلاد العليا وفيها ايضا معلون على غاية من المهارة
والمعرفة يسمون باندينية ومدرسون عظام يعملون اللغة
الفارسية والهندستانية وهما لغتان لا بد منهما لمن اراد
السياحة في بلاد الهند

ومصاريف المعاش الضرورية فيها جسيمة حيث ان امور
المرفاهية فيها من الامور الواجبة * وهي وان كانت اثمانها
هينة الا انها لا تخلو عن مزيد كلفة ومشقة فان الانسان من

اهلها محتاج لمقابله ارباب الرتب والمناصب العالية فضرورة
قبوله عندهم تلجئه أن يسلك مسلكهم ويتزيا بهم
واجرة المنازل لحانة على النازل بها في كل يوم ست رويات
حسبما جرت به العادة (والروية فرنكان ونصف فالسته منها
تعادل خمسة عشر فرنكا) واجرتها عليه في كل شهر مائة روية
(اي مائتان وخمسون فرنكا) واقل ما يلزم لمن نزل بها من
المسافرين خادم واحد أجرته في كل شهر ثمانى رويات وغسال
اجرته في الشهر تسع رويات تقريبا واجرة العربة في اليوم
الواحد ثمانى رويات وفي الشهر مائة وخمسون واجرة
التختروانات التي تحمل على ظهور الادميين في كل شهر
خسة وعشرون * وهي دائما موجودة في مواقف المدينة *
ومثل هذا الركوب لا يستعمله اهل اوربا مع أنه اسهل
وأدعى للراحة من اعتاده

وللطبيب في عيادة المريض ست عشرة روية في كل مرة واجرة
المنشى الماهر اى خوجة اللسان الفارسى والهندستانى
وكذلك الخوجة الماهر من البانديتية اى الذين يعلمون اللسان
السانسكرىتى وهولسان الهند القديم خمسة وعشرون
فضاعدا الى ثلاثين في كل شهر * واذا استحسن الانسان
أن يستأجر لنفسه دارا وهو الاولى لمن احب أن يتعود على

عوايد الهنود فالمصاريف واحدة تقريبا * واجرة البيت اللائق
في الشهر اربعون روبية فاكثر الى خمسين ولا بد للانسان من
عدة خدم كل واحد منهم يلتزم بالخدمة التي تخصه فمن يسمح
السفرة مثلاً لا يكس الارض بل ذلك وظيفة غيره
وكانت الاسواق اقولا مهمة فلما اتخذت المخازن الافرنجية
والمحال المعدة للبيع في المزداد اضطلع حالها وقلت اهميتها *
وما يصنعه اهل الهند المتأصلون يباع ثمن بخس الا أن
المشتري غالباً يغيب في شرائه بخلاف البضائع الافرنجية فانها
غالية جداً

وفي المدينة قهوة اوقهوتان يتعاطى فيهما المشروبات
الثلجية ويجلب اليها الثلج من امريقة فيشتري الهنود
من ذلك جميع ما يأتي اليهم منها ولولم تدع الحاجة اليه *
وانما ذكرنا ذلك لنبين كثرة بذلهم حتى في الاشياء
التافهة

ولهم مز يد اعتناء بعربات النقل ولا يقبلون في مدينتهم فيلا
ولا جلا خشية أن تفرع من ذلك الخيل وهذا خاص
بمدينة كلكتة دون غيرها
ثم انه يمكن للانسان أن يضع ماله عند الهنود بالمراجمه فيأخذ
ربح المائة تسعة في السائر الجارى فان وقف على ثلاثة

اشهر اخذ ربحها اثني عشر وهذا المقدار اعنى الاثنى عشر هو ما جرت به العادة عندهم في المشتريات ذوات الاسقاط ولا تعرف بان تكات اوروبا هذا التغالى في الاسعار فان بانكة بنجالة لا تجعل على المائة الاربعة

والرباع عند الهنود غير محظور فقد لا يتيسر القرض الا لمن دفع ربح المائة خمسين ولا ادري هل نبه مشرعو الافرنج على مثل هذه الصورة * وكيف يتكلم من قانون التجارة على قرض اختص به القبودانات

وفي كلكتة من انواع التجارة نوع من جلبية الرقيق وهو جلب طائفة الكولوية باسماقتهم وترغيبهم باموال مخصوصة حتى يخرج هؤلاء المساكين من اوطانهم الى الجزائر الممنوع فيها الاسترقاق ولا يدرون ماذا يصنع بهم ولا كيف تكون عاقبة امرهم فيجمعونهم في بطون السفن المعدة لذلك ونخشية هروبهم يتركونهم في هذه المحال مدة رجوعهم في النهر حتى تنقطع انقاسهم فقد اخبرني من اثق به أنه كلما هلك اناس من هؤلاء الاسرى الاشقياء من العطش والحر حال انحدارهم في النهر المذكور وقد عاين هذه المعاملة السيئة جماعة من اهل الرأفة والشفقة الذين لا يرون جواز جلبية الرقيق لما عندهم من خلوص الطوية وسلامة الباطن

فانكروا

فانكروا هذا النوع الجديد من الجلبة المذكورة غير أن
الحكومة لا تتأثر من مثل ذلك ولا تستقله وفي اقليم بنجاله
الذي هو اعظم اقليم الهند ثروة رجال يستأجرون انفسهم في
كل شهر بروية او روبيتين فقط ولا يعطى لهم شيء يقتانون به
زيادة على ذلك ولا يتأتى شراء الرقيق في هذا الاقليم ثمن
رخيص والانكليز وان كانوا دائما محتمدين في ابطال الجلبة
متعللين بأن ذلك هو ما تقتضيه الشفقة والرأفة الا أنه كان
الواجب عليهم أن لا يتشبثوا بما ينافي هذا الاجتهاد والحجة
واذا صعدت في النهر وجدت في مدينة برت كبور بيت نزهة
الحاكم وعدة عمارات اخرى تحت يد الا جانب وفي مدة الحرب
التي وقعت في بلاد الهند اقام تجار الانكليز الذين كانوا تحت
حماية الدانيمركة في العمارة الدانيمركية بمدينة سيرنهور
وكان يأتي الى الدانيمركة من طرف الانكليز الاذن والتفويض
بالبيع والشراء والاخذ والعطاء فعاد ذلك عليهم بالثروة
الجسيمة والغنى الوافر ولما انقضت المعاهدة بين الانكليز
والدانيمركة اجتاز النهر جماعة من ضباط الانكليز واستولوا
على اموال معاهديهم من الدانيمركة الذين لم يكن لهم وقتئذ
ظهير ولا نصير ولم يلحق الانكليز من ذلك خجل ولا استحياء
ولم يخشوا منه معرفة ولا فضيحة ومن يومئذ لم تبق مدينة

سيرنپور الاداراقامة الدعاة المبعوئين الى بلاد الهند فانشأوا
فيها دار طباعة وطبعوا فيها الكتاب المقدس مترجما الى
عدة لغات من لغات الهند ونشروه بتلك البلاد ولم يزالوا
ينشرون ايضا كتباً اخرى باللغة الهندستانية والفارسية
واللغة الهندية القديمة

وامام مدينة شاندرناغور فهي واقعة على البعد من مدينة
كلكتة بستة فراسخ وية عذر عندها صعود السفن في النهر
فيلزم دائما حفر الخلبان حتى تكون الملاحة الى كلكتة
ممكنة متيسرة ولا مانع أن طبيعة تلك الاراضي يؤول امرها
الى أن تظهر على جميع المجهودات الصناعية فان هذا الجزء
من بلاد الهند يشتمل على ارض كبيرة متكونة من رسوب
الطين وتراكبه في الشواطئ ثم ان ما عليه هذه المدينة من
سوء الحال وسوء معاملة من بها من المستخدمين وارباب
الوظائف يقع في الذهن أن الاسم الفرنسي اى لفظ
فرنساوى ليس له في بلاد الهند كبير اعتبار ولا حيز احترام
ووقار فان مدينة كلكتة هي التي فيها الاخذ والعطاء وسائر
المعاملات التجارية وقد كان قبودانات السفن مندسنتين
لم يزالوا مجبورين على تحرير اوراقهم في مدينة شاندرناغور
فكان يضيع منهم في ذلك مصاريف كثيرة وازمان كبيرة

ثم ترتب

ثم ترتب فيها قنصل اونائب يقوم مقام القنصل في تأدية وظائفه الا أن مزاييا هذا النائب ليست متسعة الدائرة فلم يترتب على تنصيبه فيها كبير جدوى

فالواجب حينئذ عدم التعويل على هذه المدينة بل يلزم أن يكون في مدينة كلكتة نائب مفوض في جميع المصالح وأن يكون ذا خبرة ودراية عظيمة بتجارة الهند وان لم يكن من زمرة التجار فان ضرورة الاحتياج اليه في قضاء المصالح تكسبه من المزاييا ما يفوق به غيره ويلزم ايضا أن يكون له ماهية جسمية ومراتب عظيمة وأن يكون في وسعه تأدية النيابة عن الدولة الفرنسية على وجه لا يخل بشرفها ولا يزيى بعظمها

ثم ان البقعة الواقعة فيها هذه المدينة من تفعة وهواء هاملان للصحة أكثر مما جاورها من المحال ودار الحكم بها مختربة البنيان وأسوار يستأنها آيلة للسقوط ولم يسبق للدولة الفرنسية في هذا الجزء من بلاد الهند الا فرقة من العساكر الاسبانية تبلغ عدتها احدى وعشرين رجلا ومحكمة للنظر في الدعاوى اول مرة ولقضاها ورئيسها مراتب لا تساوى مراتب ادنى مستخدم في وظائف الانكليز ولم يبق لهم ايضا هناك الا بعض فدادين من الاراضى

الباب الثاني

في ذكر السفر في نهري باغيراني والكنك و ذكر مدن
مورشد آباد و راجهال و مونغير و اصطبيلات مدينتي
غازيپور و بوكسار و مدينة بيناريس و هيكل سرمات
وصنم مدينة بيناري المسمى لات و مدرسة بيناريس
وكتب اللغة الهندية القديمة التي بخط اليد و مدينة الاهداباد
و مدينة كنبور و موسم رامنا و سحره الثعابين
المعروفين بالحواة والكلام علي الباندينية و خسوف القمر
و كيفية السياحة في بلاد الهند و مصاريق السفر

في نهر الكنك سفن من مراكب البخار تصعد في هذا النهر من
مدينة كلكتة الى مدينة الاهداباد و في فصل الشتاء
يضطر الانسان الى ركوب نهيرات ساندربند حتى يصل
الى نهر الكنك الاكبر غير انه في وقت الامطار يمكن
للمسافر بسبب فيضان المياه أن يسلك الطريق المستقيمة التي
هي طريق نهري اوغلي و باغيراني و في الغالب تجد
الطرق لكثرة المياه مدة نزول المطر متعطلة غير مطروقة فان
مراكب الهند لا يمكنها مقاومة التيار بل لابد من انتظار
هبوب الريح و هي هناك لا تكون الا فرقونات و عواصف
شديدة فاذن يكاد أن لا يسكن هناك واسطة في صعود

نهر الكنك في هذا الفصل الامر اكب الجزار فان هذا النهر
 لفيضان مياهه بالامطار وذوبان الثلوج تياره شديد يجذب
 كل ما صادفه ويتكون منه فروع جديدة ويمتد كالبحر ثم ينحسر
 فتزول به على حين غفلة قرى كثيرة وايلات وقد كان خروجي
 من كالكنت في العاشر من شهر يولية فشاهدت
 هذه الامور المحزنة الا ان شواطئ النهر في هذا الوقت اطف
 منها في غيره فانك ترى السهول قد اتسعت واستتر وجهها
 بالحشائش والخضراوات النضرة وتجد بساكن الاشجار
 المسماة منغير والمعابد البيضاء والمساكن اللطيفة التي
 يسكنها زراعي النيلة والمدن والقرى الواقعة على شواطئ النهر
 المذكور واطلالا وقرى متفرقة ورؤوس اشجار غرقى
 منشورة كل ذلك ينشأ عنه مرأى متنوع ومنظر مختلف
 فتارة تشاهد ما تشرح الصدور لرؤيته وتارة ماله وقع
 في النفوس لعظمته واخرى ما يحزنك منظره ويسببك مرأه
 ومخبره وأهم ما رأيته من المدن في اثناء سفرى في ذلك النهر
 الى مدينة بيناريس هي مدن مورشداباد وراجمال
 ومونغير وباتنة ودينابور وبوكسار وغازيپور ولم
 اجد في واحدة منها ما يرغب في الاطلاع عليه من آثار الهند
 القديمة فاما مورشداباد فهي مدينة اسلامية وبيوت

اهلها عبارة عن اخصاص متخذة من الاسل ونوع من
الخيزران يقال له بنبوس وألطف عمارة في هذه المدينة قصر
مبنى على شكل المباني الافرنجية بناء الناراب (وهو لقب
لحاكم من حكام الهند) ولم يسكنه اصلا وكانت هذه المدينة
قبل كلكتة كرسى حكومة الجمعية الانكليزية المسماة قباينة
ولم يبق من رونقها القديم الا طريق لطيفة جدا على شواطئ
نهر هنالك وأرصفتها وهى مدينة مهمة بالنسبة للتجارة وفيها
ديوان جرك اربابه من الهنود تجمع فيه العوايد المضروبة
على السياحين المارين به والعادة عندهم غالباً أن السياح
لا يقتش ما معه من الامتعة والبضائع

واما مدينة راجهال ومونغير فهما واقعتان في محل
كثير الجبال والأبجاء فتجد قريبا من مدينة مونغير ضخور
سلطانيات على احداها بيت صنم محلي بالذهب وعلى الضخور
الآخرى المجاورة لها كثير من التماثيل المنقوشة على شكل
معبودات الهند وقد منعنى من رؤيتها فيضان المياه وفي
جبال هاتين المدينتين الوعرة كهوف يحتمل فيها عباد
الاستيكية الذين نذروا انفسهم للدعة والبطالة ويقال لهم
بلسان الهند سريياغوان (اى السعداء) قراهم لصرف
اوقاتهم في التفكرات واشتغال بالهم بالمصنوعات كأنهم في لجج

الغفلة منغمسون وفي اودية الغيبوبة تائهون وشعورهم
قافة منقوشة شعناء لعدم تعهد هاوهم منبسطون من هذه
الحالة راضون بها وبالجملة فلا يتصور العقل أن في الوجود
من يفوقهم في صفة الكسل الذميمة التي بلغوا فيها الغاية
واما يائنة فهي مدينة ذات تجارة عظيمة وهي اعظم مخازن
الافيون وليس في شئ من منظرها أو آثارها ما يربحها على
ما عداها من المدن الواقعة على ملتقى النهرين بانها هي المدينة
القديمة التي يقال لها باليبوثرا

واما غازيبور وبوكسار ففيهما اصطبلات خيول
القمبانية الانكليزية فيربون الامهار في بوكسار حتى تبلغ
سنتين ثم ينقلونها الى غازيبور حتى تبلغ اربعا فاذا
ارتفعت قامت الى الحد المعين باعوا الواحدة منها بألف ربية
وما لم يبلغ منها ذلك الحد باعوه بخمسمائة وما كان فيه عيب
باعوه في المزاد وكل فلاح أتى اليهم بحجرة لطلب الثراء كافأوه
على ذلك بخمسين ربية لكن تاجها يكون للقمبانية واغلب
الفحول المعدة للثراء من الخيول الانكليزية وبعضها عراب
وبذلك استغنى الانكليز عن شراء الخيل من اسواق الهند
وخيولهم جيد كرائم الا انها في الغالب معيبة الساق
واما بيناريس فهي من مدن الهند المعروفة وهي اعظم

مدينة يرغب فيها المتولع بآثار الهند القديمة فتجد فيها جميع
حكايات القدماء محفوظة يرويها الخلف عن السلف وما به من
الآثار الاسلامية آخذ في الاضعلال والتخرب بخلاف
الآثار الهندية فهي آخذة في الصلاح والعمار وموارد النهر
فيها المسماة بلسانهم غات عظيمة جدا وهي عبارة عن
سلام متسعة ينزل عليها من الاهالى من اراد الاغتسال في
ذلك النهر وفوقها قصور وبيوت ومساجد اسلامية وهياكل
هندية وبيوت المدينة المعتادة مزخرفة بزخارف كثيرة وهي
عدة طبقات في كل طبقة منها اعمدة وفواصل وبالجملة فتنظرها
على العموم بيدولن في النهر من اجمع المناظر وانظرها
وفي تلك المدينة مقدار كبير من الهياكل وبيوت الاصنام
المسماة باغود وفيها ايضا تماثيل ساذجية غريبة عن الزينة
يقال لها لنغاس يجلس عندها فقراء الهندو المعروفون
بالدراويز ويتراأى من حالهم انهم على غاية من الهدوء
والسكون وانهم مشتغلون بحواسهم وعقولهم في النظر
والتفكر في شأن هذه التماثيل مع انهم متى رأوا دراهم صدقة
اسرعوا اليها وانكبوا عليها وفي المدينة ايضا كثير من البرك
والآبار المقدسة التي يعتقدون بركتها فهي وان كانت قدرة
منتنة يأتي اليها العباد بقصد الاستحمام

وشوارعها

وشوارعها ضيقة جدًا فبعضها على جانبيه صفان من
الدكاكين وقد عليها في المساء قناديل صغيرة وبعضها
على جانبيه جدران كبيرة مظلمة تملأها عن الشبايلك
ويكثر بتلك الشوارع ازدحام الاهالي ويسمع في سائر جهاتها
قرع الطبول واصوات الطنابير والاعاني ويصادف المارة فيها
تارة مواكب دينية وتارة زفافا واعراسا واخرى امواتا
يذهبون بهم الى النهر ويغنون وينثرون الازهار حولهم لاجل
طرده الشياطين ولهم في هذه الاحتفالات نشاط واعتناء
عظيم حتى ان الانسان يظن انه دائما في موسم لا يتقطع
وفي نواحي مدينة بنساريس هيكل سرمات وقد
حفروا في ارضه بقصد البحث عن الآثار فوجدوا عدة
عظيمة من الاصنام محفوظة حفظا تاما ولم يزل الى الآن منها
بعض اصنام متفرقة حول هذا الهيكل وهي غير محسومة
الصناعة الا أن الشكل الشهير الموجود في صور هنود
البلاد العليا معروف وممتاز فيها * والهيكل مبني بآجر مغلي
باجار منحوتة ضخمة تعرف باجار الآلة وهو واقع قريبا من
بركة مباركة عندهم تسمى ترثة حولها اشجار يقال لها
بانسان * وهناك هيكل آخر على شكل الهيكل المتقدم
ومعادل له وقد بحث فيه ايضا فلم يوجد فيه شيء

وفي الجهة الثانية من نهر الككنك تجدد مدينة رمتاغار
سراية رجا بيناريس اى والى هذه المدينة وهي كلاله نديا
من الهياكل المتأخرة منقوشا بنقوش رديئة لا تحصى
واعظم الآثار العلمية في تلك الجهة هو الصنم المسمى
لات ينارى الواقع على البعد من مدينة بيناريس
ببعض فراسخ حيث يوجد عليه كتابة منقوشة مع الاستطالة
ونحروفها غائرة في الحجر جدا حتى ان من رآها على بعد ظن
أنه يمكنه اخذ صورته برسم لطيف ولكن لما كانت اطرافها
قد بليت لتقدم عهدا كانت حروف الصورة المأخوذة
منها غير جيدة الشكل وفي مدينة بيلات صنم آخريسمى
لات ايضا وهو من جنس المتقدم الا انه خال عن نقوش
الكتابة بالكلمة

ثم ان الدروس التي تقرأ في مدرسة بيناريس السانسكريتيه
هى عين الدروس التي تقرأ في مدرسة كلكته وانما الخلاف
بينهما في خصوص النحو * واللسان المتداول بين الناس بهذه
المدينة مغاير للسان كلكته ولسان ماثورا وبنديراوند
والبراهمة يعرفون اللغة التي خصصها للديانة بريم ساغار غير
انهم لا يتكلمون بها بل اغلبهم يتكلم بلغة هندستان اوردو
وكثير من اشراف الهندو دبل وبعض السيخية يأتون الى

بنساريس بقصد تأدية العبادة والنسك وبعضهم يجعل فيها
 على طرفه اماما من البراهمة لاجل الصلاة
 وفي تلك المدينة كثير من الكتب السانسكريتية المنسوخة
 باليد حتى انه يتيسر للانسان أن يحصل فيها من تلك الكتب
 أكثر مما يمكنه تحصيله في غيرها من بلاد الهند وقد عرض
 على مقدار عظيم من المتون والشروح الا أني طلبت منهم كتب
 ويدأ فلم يردها علي جوابا ولم يتيسر لي أن احصل منها الا كتابا
 يسمى براتي سايكا (وهي رسالة تتعلق بكيفية النطق بتلك
 الكتب) ولقلة ما عندي من الوسائط لم يتيسر لي تحصيل
 كتب كثيرة وانما اتيت معي بكتاب براتي سايكا المذكور
 ونسخة ظريفة من كتاب بغوات بورانا وكتاب وراهي
 سانهيتا وكتاب بغوات جيتا وشرحه وكتاب
 باريساند يسجارا وبعض رسائل في علم النحو وثمان النسخة
 الجديدة النسخ في هذه المدينة هو الجاري في قلعوطة
 ومقداره خمسمائة شلوكة اى ربية واحدة وهذا غير ثمن
 الورق الذي يدفع مستقلا قبل الشروع في النسخ ومن سوء
 الحظ أن النساخ لا يعرفون شيأ من اللغة السانسكريتية
 فتجد الكتب التي ينسخونها كثيرة التحريف والغلط واما ثمن
 النسخ القديمة التي صححها البانديتية فليس له حدم معين بل هو

زائد زيادة مفردة * وزيادة على ذلك اذا كان المشتري ملقبا
بلقب الصاحب اوسياحا فلا يؤمل شراءها الا باعلى ثمن
ولا يجوزها الا بعد مما طلة طويلة واما اذا فصل الثمن مع
البائع وعالجه في تعيين مقداره فانه لا يحصل منها شيأ بل لا بد له
في ذلك من الاستعانة بأحد البانديتية واتحافه بهدية ولا بد له
ايضاً أن يقصد في ذلك رجلاً من المعتمدين فان الثمن يدفع
قبل قبض المبيع ويكون المشتري بعد ذلك على خطر
في حيازة ما اشتراه وقد استصحبت معي مدرس الهيئة
بالمدرسة المتقدمة وكان قد أحضره الى بعض لطفاء الضباط
فكان هذا المدرس يصحبنى اينما توجهت لانه كان
يرى كبار حكام مدينة بيناريس يقابلونى بالترحيب
والاكرام

واما مدينة ألاهاباد فهي واقعة في ملتقى نهري الكنتك
ويومنا الذي يشرف عليه حصن عجيب ويعتقد الهنود
أن هنالك نهراً ثانياً يجري تحت الارض يسمى نهر ساراسواتي
ويرجعون أن هذا المجل اعظم البرياغاس قد ساوبركة
(والبرياغاس اسم للاماكن المقدسة الواقعة في ملتقى النهرين
المذكورين) فترى الناس يأتون الى هذا المجل افواجا
للاغتسال والخلق ويعتقدون أن كل شعرة سقطت في الماء

علامة على أن صاحبها يمكث في الجنة ألوفاً من السنين وكانت
قبانية الانكليز أولاً تأخذ عوايد من الزوار تضرعها عليهم
ثم ابطلتها نظراً إلى أن ذلك مما يخل بالمرءة ومكارم الاخلاق
اذ ليس ذلك الا مغرام مضر وباعلى ارباب الاوهام الفاسدة
والعقائد الكاسدة * وتجد تحت حصن ألاهاباد في كهوف
مستطيلة اصناماً يسمونها لانغاس وتمثال على صورة
الآلهة المعروفة باسم بارواني وفي صحن هذا الحصن صنم
يقال له لات وهو ملق على الارض وعليه من الكتابة
نقوش كثيرة لا يمكن اخذ صورتها

وبالجملة فديننا ألاهاباد و بينارس هما محتلان
تتجهما الهنود ولا يوجد في ألاهاباد شئ من الآثار
القديمة الغربية ولا شك أن الاسس المتينة التي بنيت عليها
بيوت هذه المدينة كانت سابقاً عليها مبان عظيمة ولا ترى
عليها الآن الا اخصاصاً رديئة مبنية بالطين * وفي المدينة قبر
عظيم حوله بستان وخان ظريف * ويتعجب الانسان من
كون هذه المدينة واقعة موقعا حسناً في ملتقى نهرين عظيمين
ولم تكتسب اهمية زيادة عما هي عليه الآن

وقبل فاض نهر الكنك حين كنت بهذه المدينة فيضانا
غريباً حتى تقطعت جسوره وانصبت مياهه في نهر يومنا

من خلال السهول التي تفصل الحصن من المدينة فصار هذا
الحصن كالجزيرة وانهدم السور العظيم الذي على نهر يومنا
وكان هذا آخر حادثة من حوادث التخريب التي كنت
أشاهدها منذ شهرين

وبينما كنت انتزه في الكفاف تلك المدينة اذ ضللت عن
الطريق فسألت رجلا من الاهالي وقلت له ما هذا النهر الذي
يجري أمامي فأجابني بأنه نهر الكنك فسألته ثانياً لا تحقق
من معرفة الطريق وقلت له وليس هذا نهر يومنا فأجابني
قائلاً انه يصير نهر يومنا لو أراد ذلك صاحب وانما ذكرت
هذه العبارة لتكون شاهداً على عبودية اهل تلك البلاد
واسترقاقهم وعلى انه يعسر على المستفهم غالباً أن يجاب
عما استفهم عنه باجوبة صحيحة فانهم يقصدون بجواب
اسهل الاسئلة معنى خفياً ولا يخطر ببالهم أن السائل
له رغبة في الاستفادة عن سؤاله بالتفاصيل التي تظهر لهم
انها مستهجنة مبتذلة بل يرون أن اجابته بما يظنون انه
يعجبه ويسره اولى من اجابته بالحقيقة فعلى الانسان أن لا يثق
باخبارهم ولا يعتمد على افادتهم الحالية بل يلزمه
أن يستصحب معه اخداً معتبرين منهم ليستفيد منه اخباراً
صحيحة يوثق بها

واما مدينة كنبور فهي اعظم المدن بعد ألاهاباد وفيها
بعض آثار من آثار القرون المتأخرة غير مرغوبة وهي من
المحطات الواسعة العسكرية والمنازل المستحسنة الهندية
من حيث كونها محلا للحفظ واجتماع المؤانسة وفيها تياتر
وموقعها ردىء كآء كآء وان كان نهر الكنك يرويها
واراضى هذا القطر مسطوحة جدا فلا يزال الإنسان فيها
محاطا بالاعاصير والزوابع

وعلى البعد من مدينة كنبور ببعض فراسخ محل يزعم
الهندو أنه مركز الارض قتراهم في شهر اوقطوبر يعملون
فيه مواسم عظيمة غير أنى لم يتيسر لى حضورها وانما رأيت
مدة اقامتى بهذه المدينة موسم قتل الاخوين المسيحين راما
للعملاق المسيحي روانا باعانة القردة لهما على قتله وكان
الهندو اولاء يلقون فى نهر الكنك بعد انقضاء هذا الموسم
الشابيين المنتخبين من اولاد الاعيان اللذين كانا ينوبان
فى الموسم المذكور عن الاخوين المذكورين معتقدين انهما
بتلك النيابة صارا مطهرين من دنس الذنوب فلم يبقوهما على
قيد الحياة ثلاثين كونا عرضة لاقتراف الخطايا ثانيا واما
الآن فليس ثم قاطع بانهم اقلعوا عن هذه الفعلة الشنيعة
الناشئة عن اوهامهم الفاسدة والذى اراه أن الانكليز

لا يفضى بهم الترخيص في الامور الدينية الى أن يقرؤوا هذا
 الامر الفظيع ويغضوا عنه وينوب في الموسم المذكور
 عن العمل القاسي وروانا تمثال هائل محشوق بيران صناعية
 وحرائق بارودية يحرق بها هذا التمثال * وصورة ذلك الموسم
 أن الشابين النابيين عن الاخوين المسمين راما يأتيان
 وعليهما ملابس فاخرة في عربة يجرها ثوران وكل منهما قابض
 بيده على قوس وعلى كتفه جعبة ويكتنف العربا اناس
 متزيون بزى القردة يصبحون صباح الفرح والمسرّة حتى يسمع
 لاصواتهم في الجودوى عظيم ثم يجمعون على التمثال ويرمون
 بالحرائق من كل جانب وهو موسم عظيم مستحسن عند
 الاهالي وهم وان كانوا في طرب وعربة من السكر وسماع
 الغناء في الموسم الا انهم لا يزالون محافظين على احترام
 من حضر من الفرج للفرجة على ذلك الموسم

ورأيت في تلك المدينة ايضا حواة الثعابين قد قبضوا على
 ثلاثة منها ما من ابوا سطة تصغيرهم بالآلة اشبه صوتا بالزمار
 فان تأخرت الثعابين عن الحضور اليهم اخذوا في السب
 واللعن وقروا عليها عزائم وكلمات شعوزية ومهما ابداه
 الانسان من الاحتراسات في التحرز من غشهم وما يخيل له
 من فعلهم رأى منهم كيفية غريبة جدا حتى يعتقد انه غير

مغشوش وأن شعبذتهم صحيحة قائمهم يجردون عن ثيابهم
ويغين لهم المحل الذي تتلى فيه العزيمة لاجل اخراج الثعابين
ومتى قرؤها خرجت لا محالة * والثعابين هنالك تأوى الى
اصحن الدور بل والى داخل الاماكن ويقال ان نساء الهند
يؤلفنها حتى تأنس بهن ويتخذنها صواحب في خلوتهن
ومكنهن مقصورات في البيوت * ومن تلك الثعابين
ما يسمونه كوبرا وهو اكثرها شراسة كرا للصنيع مع انه
اشدها خطرا واعظمها ضررا ويألف المويسقي قترام عند
سماع صوت المزمار يرقص على حركاته مراعىا الحان
نغماته واكثر ما تكون الثعابين والعقارب على امتداد اسفل
الجدران فلذا ترى من آهام بلاد الهند عدة سنين يتحاشى
عن المشى بحذاء تلك الجدران حتى كأنه طبع على كراهة
ذلك والثعابين المذكورة تفتر من الناس ولكن ذلك لا ينقص
من خطرها شيئا ويصادفها الانسان في كل مكان فيجدها
في الغيطان والطرق والردم والاطلال واذا اضطرت الى
الخروج من اجارها التفت على بعضها وعندما تحس بأذى
حركة تمتد لاجل اللدغ واما الثعبان المسبح كوبرا فيسبط
قنبرته ويقوم ملتفا على شكل دائرة ثم يلقى برأسه الى الارض
وهو بطيء الحركة جدا بحيث يسهل التحرز منه واذا انفق

أن انسانا من شعباناسهوا التفت اليه حاليلدغه وقد اتفق
لى انى كنت أترىض فى مزرعة نيلة محصودة فوطئت شعبانا
فالتفت الى ليلدغنى وكان مشتبكا بجزمة من النيلة
فلم تصب لدغته الاسراويلى فخردت السيف وقطعته فاذا هو
حية حبلى وقد اشتهر هناك أن لدغ الحيات ولو كانت من ذوات
السم لا خطر فيه

ثم ان قطر ألاهاباد هو جزء من الهندستان الاصلية
وارضه خصبة جدا وزراعته جيدة فيما حول القرى
والعيش فيه رخى والاسواق مستكملة اللوازم مع الانتظام
وعلى البعد من القرى ترى ارضا بورا متسعة وهى ما يسمونه
جنجل واكثر هذه الاراضى قابل للخصوبة الجيدة لولا
ضعف الفلاحين وعدم تجاسرهم على التباعد عن قراهم
خوفامن قطاع الطريق المسلمين المسمين بلسانهم دكوات
ومن الوحوش المفترسة

ولا يرخص هناك للفرنج فى تملك الاراضى ويلزم لزراعة النيلة
اراض متسعة وفلاحوا الهنود يؤجرون اراضهم لزراع
النيلة سنة او سنتين وربما جروا ارضا واحدة لزراعتين فيقع
بينهم اعند الحصاد نزاع قد يفضى بهما الى القتال واكثر ما
يكون ذلك فى بلاد يسورة

وفى هزم

وفي هذه البلاد يصنع السكر وملح البارود والافيون بكثرة
وقبانية الانكاز تحتكر الافيون وتستبد به وهو من اعظم
فروع الارادات الهندية

وحيث ان الحرطال لا يزرع عندهم سدا الجلبان مسده
في علف الخيل ويجمعون الحشائش من الاراضى المسماة
جنبل وفي بلاد بنجالة السفلى يزرع الارز بكثرة
بخلاف اقليم الالهاباد الذى هو دونهما فى الرى فان اكثر
ما يزرع فيه القمح والشعير والدخن

وفي اكاف مدينة باتنة يزرع كثير من البطاطس وغيره
من النباتات ذوات الجذور والبقول المعروفة فى بلاد اوروپا
وجميع بساينهم لا تخلو عن زراعة ذلك

والخيول الهندية هى صنف صغير الحجم شديد العزم ولا تحتاج
للتعهد والخدمة وكذلك صنف البقر فى تلك البلاد
فهو ايضا صغير الحجم جدا ولونه سنجابى وهناك جاموس
كثير يعتقد الهندو بركته وكذلك الثيران ويمنع فى القرى
المنعزلة عن غيرها اكل لحم البقر * وأغنامهم فى الغالب
سوداء وصوفها ردى * * وخنازيرهم السود التى تأنى اقاطيع
اقاطيع لتتمرغ فى قاذورات القرى ينقر منها الفرنج كما ينقر
منها المسلمون * والكلاب تعيش مهملة فى المدن والقرى

وتذهب غالباً الى النهر لتأكل ما يرسو على شاطئه من
الرم فيعتريها بذلك داء الكلب
واما الابل فانها لا تكاد توجد في هذا الجزء من بلاد الهند
لان جميع الاجمال انما تنقل في السفن بل توجد فيه
الافئال التي هي في بلاد الهند من علامات الثروة والشوكة
لمن حازها.

والطرق في الغالب طريقة جدّا ومعتق بشأنها واصلاحها
مع صعوبة ذلك عليهم بما يطرأ عليها من الفساد الناشئ عن
كثرة الامطار التي تعقب فصل الحرارة واليبوسة
ويستخدمون في اصلاحها من حكم عليهم بالليمان وقد
يصادف الانسان منهم طوائف كبيرة لا يصحبها في قيادتها
وحرسها الا رجلا ن او ثلاثة ومن الغريب أنهم مع ذلك
لا يسمعون في الهروب فيلزم أن يكون عدم سعيهم في الفرار
انما هو لما استولى على قلوبهم من الرعب والخوف من الحاكم
الانكليزي فلذا تراهم متى شاهدوا رجلا من الافرنج جيوه
بوضع ايديهم على جباههم

وفي مدن الهند تجد الضباط والمستخدمين في الخدم الملكية
يسكنون بيوتاً بعيدة عن المدينة لها طبقة واحدة ارضية
وهي مستورة بالقش والحفاة وارضيتها مصنوعة من مواد

ترابية صلبة كأرض الجرين وسقفها مستور من داخله
بشماس ابيض ووسطها مستور بالقش وبنائها خفيف فلذا
كانت تخرجها الامطار والتمل الابيض في اسرع وقت فهي
دائما محتاجة الى الترميم والاصلاح * واما بيوت المدينة فهي
في الغالب مبنية بالآبجر والحجارة وأعظمها يشتل على عدة
طبقات وعلى صحن فيه ماء لاجل جلب الرطوبة الى داخل
المنزل * ويرى حول البيوت النظيفة بل وفي جميع المدينة
كومات قمامات قدرة وحفر مياه متنتنة

وفي كل قرية من القرى سوق مستقر لا يتقطع منه البيع
والشراء وхан ينزله السياحون وبعض تلك الخانات لطيف
جدا وقد احدث الانكليز وبعض اغنياء الهنود خانات
صغيرة يأوي اليها السياحون وللسياح أن يمكث فيها
اربعا وعشرين ساعة فان اتى بعده هذه المدة سياح آخر
وجب على الاول أن يتركه محله وهذه الخانات الصغيرة
على غاية من القلة والاحتياج الى لوازم التنظيم وادواته وهي
في الغالب واقعة موقعا رديئا بعيدا عن القرى والاسواق
ولكن ليس في ذلك كبير ضرر على السياح لانه في العادة
يستصحب معه ادوات السفر من خيمة وغيرها فاعظم نفع هذه
الخانات انما هو بالنسبة للسياحين الذين يسافرون في الداك

(وهو تجتروان بحمله الرجال على ظهورهم) وفي كل قرية حاكم
 للضبط يسمونه ثانا دار يعطى الخفر للسياحين في مدة
 الليل وهو لاء الحرس في الغالب لصوص ولولا التجاء السياح
 اليهم لطلب الحراسة والخفر لسرقوا امتعته بلا محالة وليس
 بين القرى من العلائق والروابط الا القليل لان اهلها ما هنود
 او مسلمون اوهما جميعا وهو الغالب واذا سكن اهل
 القرية هنودا فلسانهم يقارب اللغة المسائسكريتية وان كانوا
 مسلمين فلسانهم يشابه اللغة الفارسية ومن عادة المسلمين
 قرى الضيف واکرامه بخلاف الهنود فانهم لا يضاؤونهم
 في هذه الخصلة الحميدة وذلك ان لم يكن فيهم بالطبع والغريزة
 فهو ناشئ عن اوها مهم الفاسدة التي تمنعهم من اكرام الغرباء
 وخدمتهم ولا يتيح لهم أن يعيروهم شيأ من الادوات المنزلية
 من آنية طبخ وغيرها

ولا تخلو كل قرية عن البانديتية ولو واحدا وهم مجردون عن
 المعارف وليس عندهم من الكتب الا كتاب يسمونه أكتاخ
 وهو عبارة عن الزيجات والتقويم ويظهرون للناس أنهم
 يقرؤون فيه مع أنهم انما يقرؤون شيأ آخر من محفوظاتهم
 فافهمتهم أنى عارف حقيقة الحال وانى لم اغتر بهم هذه الخصلة
 فاخذوا يضحكون من ذلك ولكن ليس عندهم دعوى ولا تكبر

ولا يوجد

ولا يوجد في خارج المدن الكبيرة أحد من البراهمة أرباب
المعارف الا في اورط العساكر الهندية حيث رتبت فيها ثمانية
الانكليز واعظامهم ليعلمهم الصلاة ويحترضهم عليها
وقد اتفق ذات ليلة أن القمر خسف فسمعت شخصاً من البراهمة
يتلو دعاءً فالتفت عليه كل اللاحاح أن يخبرني بهذا الدعاء
فأسمعت نفسه بذلك وبعد أن فرغ من دعائه اخذ يقص
على الحاضرين بدون تعقل ولا روية سيرة راهو الشهير
الذي تتبع القمر قاصداً اقتراسه انتقاماً منه على كونه فضحه
حين كان يسرق الطعام من ويكنو وكان هذا البانديثي
على معارف كافية فكان يعرف خسوف القمر قبل حصوله
فإن علماء الهيئة من الهنود يحسبون اوقات الخسوف
حساباً صحيحاً والظاهر أنهم يعتقدون صحة خرافاتهم فتراهم
عند حصول حادثة من الحوادث العلوية تلطخهم الحيرة
والقلق لفساد أوهامهم وسوء عقيدتهم كالعادة فيعتقدون
أن القمر يحمل به وقت الخسوف شدة وضنك عظيم فترى كلا
من الهنود والمسلمين يجثون على ركبهم ويستهلون بالدعاء
والتضرع لكن الهنود يقصدون بذلك التمجيل بانقاذ القمر
من هذه الشدة والمنسلون يقصدون التخصن من ضرر
الخسوف الذي هو علامة السخط والغضب

وما ذكرناه لك على وجه الاختصار في تخطيط هذه البلاد يمكن
أن تعرف به سهولة السياحة هناك فان ادوات النقلة متنوعة
حيث تجد المراكب البخارية والسفن العادية لركوب
نهر الكنك والصعود بها فيه ولكن الثانية هي الاليق
بالمسافر الذي يريد الخروج على المدن ويحب معاينة البلاد
وانما ينبغي له أن لا يسافر في زمن فيضان مياه هذا النهر وتجد
ايضا الدالك والتختروانات التي يحملها الرجال على ظهورهم
ومسافة ما تقطعه هذه التختروانات ليلا ونهارا خمسة عشر
فرسخا فصاعدا الى عشرين والسفر فيها لا يلائم الامن اراد
النقلة من محل الى آخر بسرعة لان هذه الطريقة متعبة
وثقيلة على المسافر وكثيرة الكلف والمصاريف ولا يمكن
لمن استعملها أن يقف في الطريق لرؤية البلاد * وللسياح
ايضا أن يقطع المراحل الصغيرة في التختروانات او على الخيل
وينزل في خيمة او خان من الخانات * واهل اوروا لم يتعودوا
على نزول الخانات بل يتقلون معهم خيامهم واثقالهم وبالجملة
فالمسافر مخير فيما يلايمه من وسائل السفر المذكورة وركوب
الماء في اقليم بنجالة هو الانسب للمسافر فان البلاد
والولايات الواقعة على شواطئ نهر الكنك يرغب في رؤيتها
والاطلاع عليها ومبدأ السفر بالخيم مدينة الاهداد

وأعظم الخيام ما يصنع في مدينة قنجا بور الواقعة بين
مدينتي الاهداد وكنبور ويصنع منها ايضا كثير
في المدن الاخرى

وأهبة السفر المعتادة فرس ورجلان لخدمة المسافر احدهما
يذهب للمحافل الغير المزروعة ليجمع منها الحشائش ويقدمها
للفرس ومن لوازم المسافر ايضا طبياخ ومساعد لانه بمجرد
احضار الغداء تاتي الحداة والاغربة والكلاب من جميع
الجهات لتختطف ما على المائدة متى وجدت ادنى غفلة
واهمال ومن لوازمه ايضا رجل لحفظ الامتعة والاثقال
وميتور اى كناس وبسقي اى سقاء ودهوبى اى غسال
وفراش لنصب الخيمة وكل واحد منهم لا يؤدى الا خدمته
المنوط بها وكذلك لجل الخيمة الصغيرة وعدة جمال
او عربة لنقل الامتعة والاثقال والابل اسرع في السير من
غيرها ولا يخشى معها بلل على ما تحمله من الامتعة عند عبور
الانهر الصغيرة واذا اراد المسافر اخذ شئ من التصاوير
والرسوم لزمه مساعد يعينه على هذا العمل والانفع له
ان يستصحب منشئا اى كاتب سر من الفرس وبانديتيا يعلمه
السنة البلاد لاسيما اذا اراد السياحة في بلاد الهند بقصد
الاطلاع على آثارها القديمة ومعرفة آدابها فان هذا البانديتي

هو الذي يدلّه على الاماكن والآثار الشهيرة المرغوبة
 و يترجم بينه وبين اصحابه من الهنود واما المنشئ فلا بد له
 منه في البلاد القائمة بنفسها لضرورة المراسلة الى رؤسائها
 من الهنود ومكاتبهم عند الحاجة ولا بد له ايضا من الحرس
 مدة الليل والاسرقت امتعته بلا محالة

ولنذكر هنا مصاريف السياحة على سبيل الاقتصاد
 والتوسط فنقول

دنية

١٠٠

٤

٣٠٠

٨

١٥

٥

٤

٦

٦

٨

٥

٤

والتوسط فنقول

مصاريف الجمل في الشهر

الجمال

عربة تجرها ثلاثة اثوار

امين الامتعة والملابس

الطباخ ومساعدته

الكاهن

السقاء

القراش

الكوئي (وهو الرقيق)

خفر الليل

السائس

الجاسكوت (وهو نوع من الخدم)

الغسال

الباندي

المنشي

٩

٥٠

٣٠

١٩٤

وقد يستغنى المسافر عن الجمع بين الباندي والمنشي واذا زدنا على تلك المصاريف مصاريف الدليل ونحوها من المصاريف الهينة فربما بلغ مجموع مصاريف الخدم الشهرية نحو مائتي رية اي خمسمائة فرنك واذا أثر المسافر ركوب التختروان على ركوب الخيل دفع في كل شهر مصاريف حاملها ثمانين رية اي مائتي فرنك وركوب التختروانات فيه ابهة وروثق الآن مصاريفه اكثر من غيره

والاقوات في تلك البلاد رخيصة جدا فتي جميع الاماكن الطيور الدواجن والارز واللبن والبيض والدقيق ولا بد للانسان هناك من طقم سفرة فيه نوع زخرفة ورفاهية فان العادة في تلك البلاد أن الانسان اذا دعى للغداء عند جماعة استعجب معه السكين والشوكة والمعلقة والصحاف وحقى الفلفل والملح لان ضرورة الانتقال وكثرة الارتيحال حملت الانكليز على التعود والعمل بهذه العادة المستحسنه التي تذهب عنهم الحيرة وتوفر عليهم المصاريف

وإذا أراد المسافر الاقتصاد في المصاريف بحيث لا يفرغ
 مئزره من شيء ولا يندبني ولا غيرهما من يستعين بهم على
 الاطلاع على تلك البلاد ومعرفة احوالها لم ينل ذلك الا وقد
 اضر بنفسه من حيث ما يصل اليه في هذا المعنى من الاخبار
 حيث لا يخرج من ذلك على خبر صحيح يعتمد عليه وانما ما عدا
 ذلك من المصاريف فهو امر عادي فالأوفق بالانسان
 أن يسلك في ذلك المسلك الجارى بين الناس ولا يسلك
 في معيشته مسلكا يخصه على حدته فان ذلك يوقعه في الحيرة
 دائما ويضيع عليه الزمن وايضا اذا لم يسلك مسلك عموم
 الناس لم يعتبر عندهم اعتبارا صاحب اى لم يعتدوه من
 السادات والاعيان بل الظاهر أنهم لا يمكنونه من السياحة
 في البلاد المستقلة بحكم نفسها الا اذا استأذن الحكومة
 الانكليزية والحكومة الهندية وصدر الاذن متوقف على
 حسن هيئة المستأذن بحيث يكون دائما على هيئة تقضى
 بأنه من ارباب الشرف والاعتبار

وبالجملة فالذى اوصى به السياح أن يتصرفوا به النظر
 في شأن مصاريف السياحة ولا يغتر بالتوهيمات الباطلة
 التى يبدئها له في هذا المعنى اناس لم يسافروا الى تلك البلاد
 حقيقة وانما ذلك منهم مجرد وهم وتخيل وان كانوا في الواقع

ونفس الامر من ذوى الاعتبار والوقار

* (الباب الثالث) *

في الكلام على مدينة اغرا والمدفن المنمى تاجهال
وحصن اغرا ومدرستها ومدينتى ماثورا وبندر ابند
وكريشنا واللبانات والقردة وغاث بندر ابند وهياكلها
والاموات المطروحة فى الازقة وقراءة اللسان السانسكريتى
وصعوبة تحصيل الشخوص المسماة مداليسه والنقوش
المرسومة على ألواح النحاس وعلى مدن ديج و بورتبور
وغداوند و فتاجبور سكرى وعلى المنظر العام للبلاد
المجاورة لمدينة اغرا وكيفية البناء والتصوير
والنقش عند الهنود وعلى مدينة قانونجة ومن بهامن
البراهمة وبائى المرات وعلى المداليات الكاذبة
لما انقضى فصل الامطار واتمى فيضان الماء شرعت فى السفر
ثانيا فخرجت من مدينة كنبور فى اواخر اوقطوبر بعد
أن اقامت عدة اسابيع فى ضيافة بعض اصحابى من ركبت معه
البحر سابقا و عادت ضيافته على بالمنفعة فرأيت منظر ما بين
مدينتى كنبور و اغرا من البلاد قد تغير دفعة واحدة
فلم ار هنالك ما يضاهاى سهول بنجاله الايقنة ولا جبال
راجاهال و مونغير و مرزاپور ذات الغابات ولا المدين

والقرى التي تكتنفها اجسام النخيل واشجار الموز
ولا اخصاص الهنود الصغيرة المتخذة من ضفائر الخيزران
المغطاة بالنباتات والازهار التي تعلو وتلتف عليها بل وجدت
القرى في تلك الجهة قليلة والبيوت مبنية بالطين وفي كل
وقت يصادف السائر فيها رمالا وارضى متسعة لا يثبت فيها
الا العاقول ووصلت الى مدينة اغرا وقت الاصيل عند
غروب الشمس فكان اول ما وقع عليه بصرى هو التاجهال
فلمسته من بعد ونصفه محجوب بالا بخرة الخوية وهو عبارة
عن مدفن شبيه الشاهيهان تذكره الاحدى زوجاته
وهو واقع على شواطئ نهر يمنا وفيه منارات عالية تشرف
على ما حوله من البسلاد التي هي عبارة عن اطلال ومقابر
يظن الناظر أن ارضها انقلبت وتخربت ويكتنف هذا
المدفن مسجد وبستان جيد الغراس وخان معدة لتزول
السياحين فيه مجانا وجميع مقابر اعيان الهند بهذه المثابة
فهي جامعة لطرف من الفنون والديانة والطرافة والنفع العام
وليست كما تلهم به الالسن دائما انها آثار مباهاة ومفاخرة
غير نافعة * وطرق البستان ومماشيه مبلة بالاجار المتينة
وفي وسطه فسقية ذات نافورات تعذف الماء في كل يوم احد
وبناء المدفن من الرخام الابيض * والمقابر وكذلك بعض

الجدران مزخرفة بقطع ابحار متناسبة مختلفة الالوان على
صورة ازهار مخترة وبالجمله فاجراء هذا المحل كجموعه على
غايه من اللطف والظرافه

ومدفن الشام اكبر في مدينه سكندره واقع على البعد
من اغرا بفرسخين وهودون الاول في الظرافه ويشتمل
ايضا على بستان وخان ومن صعد على اعلاه رأى حوله من
الخراب فضاء واسعا يبلغ مدى بصره

والانكليز يعملون اعظم مواسمهم في هذين المدفنين ويجمعون
فيهما جميع من كان بمدينه اغرا من الفريج وفي عمل
هذه المواسم يحوار المدفنين اسوة باهل المشرق في اخلاقهم
وعوايدهم حيث يميلون الى مزج حظوظهم ومسرّاتهم
بما يبعثهم على الاتعاض والتفكر في فناء العالم وزوال الدنيا
ولكن يبعد أن اصحاب هذه المواسم في اوقات المسرة
والخلاعة يتفكرون في غير مسرّتهم وفكاهتهم

وغير هذا المدفن من المحال الشهيرة بمدينه اغرا هو المحل
المسمى موتى موجد يد ومدفن ايتاد ايد دويلج المزخرف
بتصاوير مخترة مصنوعة من قطع ابحار متناسبة مختلفة
الالوان والحصن الذي كان دار اقامة الملك على حسب
عوايد هذه البلاد واما كن هذا الحصن على غايه من الحفظ

وفي داخله صحن مربع يشتمل على مسجد من الرخام الأبيض وقاعة جامه المعد للنساء هي موضع مستور عن الاعين يصعب الدخول فيه وهي مزينة بمرآة صغيرة ذات اوجنه عديدة وضعت هناك لتعكس فيها صور من اغتسل في ذلك الحمام من النساء الحسان ولا يدري هل كان الشاه يحضر معهن وقت فكاهنن ومسرتهن ام لا والخار من اخرم بالكلية وليس في المدينة من المباني ماله وقع في النفس كهذا الحصن الا القليل سواء كان ذلك بالنظر الى داخله او خارجه وهذا الحصن وان كان يظهر أنه حصين منيع الا انه بحسب الظن لا يمنع عساكر الفرنج من التغلب والهجوم عليه فقد استولى عليه سنة ١٨٠٣ من الميلاد اللوردلاك من غير أن يكابد في ذلك مقاومة ولا معارضة غير أنه لسوء حظه اتلفت كل المدافع جدرانها اللطيفة وقبابه المذهبة

وفي مدينة اغرا ايضا مدرسة يتعلم فيها اللسان السانسكريتي والعربي والفارسي والانكليزي وقد اخبرني مديرها أن هذه المدرسة السانسكريتيه من الاحداث الرديئة والترتيبات القبيحة لان كل من خرج منها انما يستعمل ما حصله فيها من المعارف في اغواء الجهلة واطلالهم ولعله يشير بذلك الى

الشعبيات المأذون بها للبراهمة ليستريحوا من كيد اعدائهم
ولا اعداء لهؤلاء البراهمة الا من لم يفهم ما اوجبه لهم
الشرائع من وجوه البر والاعانة ومنشأ ذلك انما هو الترتيب
لا الناس والتلامذة هناك يحترضون على تعليم الانكليزي
والفارسي لانهم بمعرفة هذين اللسانين يتمكنون من التقبل
بوظيفة من الوظائف الانكليزية

ومدينة اغرا كلها اسلام لا يوجد فيها شيء من آثار الهند
الشهيرة ~~ولكن~~ اذا سافر الانسان منها مسافة يوم وصل
الى ماثورا و بندرابند وهما مدينتان معدتان لتعليم
الآداب والاخلاق القديمة وكل شيء فيها سادجى باق على اصل
الطبيعة اكثر مما في مدينة بنارس فانهما كانتا محلا
للحوادث التي وقعت من ويشنو في صغره حين تشكل
باحد تشكلاته الذي كان يسمى فيه باسم كريشنا (وهو من
آلهة الهنود الخرافية وتشكلاته تسع مذكورة في كتب
الميثولوجيا) فله في المدينتين عبادة مخصوصة واهلهما
يشهرون وقائعهم العشقية والحربية بانشادها والترنم بها وعقد
المواسم لها ويطالعون السياحين هناك على المورد المسمى
غات الذي قتل فيه ويشنو الثعبان وعلى الشجرة التي
كان يزمر فيها بالمزمار وكذلك الشجرة التي خبا فيها

ثياب اللبانات * وبعض البراهمة يحكي هذه القصة فيقول
 أن ويشنو اقتض فحاة على اللبانات وكن يغتسلن في الماء
 واخذ ثيابهن وصعد بها على شجرة وواراهن فيها فذا منه هؤلاء
 المسكينات وسألته في الثياب فطلب منهن أن يخرجن من الماء
 فلما خرجن وأردن أن يسترن عوراتهن بايديهن أزمهن أن
 يضعن فوق صدورهن على هيئة الصليب وقد يست هذه
 الشجرة التي كان يذكروها تلك الحادثة ويوجد في أغصانها
 اليابسة اشربة مختلفة الالوان معلقة عليها دالة على ثياب
 هؤلاء اللبانات

وما في مدينة بندر ابيد من الموارد السمكية غات
 على غاية من اللطف فان اغلبها مسقوف وانفراجاتها المطلة
 على النهر مخفية على شكل قباب وفواصل مسندة على اعمدة
 وهي محصنة القصور صغيرة تعرف بالكوچكات ومظلة
 باشجار كبيرة من شجر البانان ومنترهاتها انيقة تشرح الصدر
 وعلى شاطئ النهر يحمل كانوا يطعمون فيه القرود بما رتب له
 احد العباد وقد وجدته عند الاربعة مغلوقا لان قنور الحية
 في الديانة يسرى في سائر المجال * والقرود هناك تملأ الاشجار
 وسطوح البيوت حتى انهم في ايام البلج يضطرون الى اقامة
 الحرس لحفظ النخل لما أن هذه القرود متعوده على الاستلاب

والاختطاف

والاختطاف حتى انه يشق على الانسان أن يجمعى غداؤه من هجومها عليه بل لا بد له من مجانبته اذيتها ولو بادنى ضرر فقد اتفق ذات يوم أن رجلين من الضباط قتلا قردا فاشتد غضب الالهالى عليهما وارادوا الفتك بهما فلما كان منهما الا انهما ربا فيلا وقصدا أن يجتازا به نهر يومنا لكن ادركتهما الغنية فغرقا فيه واهل المدينة يحكمون في ذلك حكاية غريبة فيقولون ان القردود نفسها هجمت عليهما فاهلكت الراكب والمركوب والاثوار التي يعتقدون بركتها كثيرة هناك حتى انها تصد الازقة والحارات وغداؤها من حبوب باهى الغلال فتدخل رؤوسها في قفصهم لتأكل منها ولا تسالى بضرهم لها وبعضهم يتركها تأكل من حبوبه آمنة مطمئنة معتقدين أن عدم طردها مما يستوجب الاجر والثواب والسلاحف كثيرة في النهر وي طرح لها الالهالى فيه ما تقتات به وبالجمله فالثيران والقردة والطواويس والحمام والدبوك مقدسة عندهم يعتقدون بركتها فلا يذبحون منها شيئا وقد اتفق انى كنت اتمشى في بعض الازقة اذ نظرت امرأ مهولا وكان ذلك في فصل الخريف وقت حصاد الدخن وهو انه كان قد وقع في المدينة منذ يسير قط ومجماعة حتى صار الفقراء يأكلون الدخن مع الافراط والشرهة فتشأ عن ذلك

حتى قالت فرأيت بعض المصابين به في النزاع وبعضهم قد هلك
ورأيت الناس يمترون من جانبهم ولا يلتفتون اليهم حتى اخذت
الكلاب تأكل واحدا منهم ومن عوايدهم أن الميت لا يدفون
منه الا قاربه الاذنون وطائفة من الرعاع السفلة معبدة
لجل الاموات

وفي مدينة بندرابند زيادة على ما فيها من الغنائات (اي
الموارد) هيكلان ظريفان جندا مبنيان باحجار لونها كلون
الورد أحدهما على شكل الصليب اليوناني وهو أغرب آثار
العمارات الهندية وتجسد فقراء الهنود يجتمعون حول
الهيكل ويقرؤون عندها باعلى اصواتهم مع نوع غناء وترنم
وبقطع النظر عن ذلك وعن تطويل وقصصهم على حروف الغنة
لا يظهر في نطقهم مخالفة للنطق المعتاد في مدارس فرانس
الكبيرة وعند سماعهم يدرك الانسان أن ما يقرؤنه
موزون متناسق * وليس الامر كذلك في مدينتي كلكتة
وبينارس ولما كان الفقراء المعروفون بالدرابوش
لا يتكلمون الا نادرا وقل أن فهموا ما يقرؤنه وكان الاولى
أن يقال ان قراءتهم انما هي من محفوظاتهم ومن الآثار
التي يرونها الخلف عن السلف شفاها لا أنهم يقرؤون فيما بأيديهم
من الكتب كان الظاهر أن ما يسمع منهم هو النطق الطبيعي

الخالي عن التصنع وقد تحيلت في تحصيل كتاب من الكتب
 الصغيرة التي يقرؤون فيها فوجدته لا معنى له بالكلية
 والنطق باللسان السانسكريتي يختلف باختلاف البلاد ولكنه
 يتحد في مدة الوقف على حروف الغنة وسبب الوقف بهذه
 المثابة على تلك الحروف القليلة التزم هو في غاية الوضوح
 لمن عرف صعوبة العثور على الكلمات المحرفة عن اصلها
 بسبب قواعد اللغة الجديدة المسماة ساندی فاذا اراد
 الخوجة أن يظهر عدم الخبرة في القراءة جعل لنفسه فسخة
 يسير فيها الكلمات ليحترز المحرف منها وبعد عثوره عليها يسرع
 القراءة حتى يصادف حرفا آخر من حروف الغنة فيقف عليه
 ثانيا وهذه الطريقة الغربية في القراءة تضر ضرا عظيما
 بحاسن الاشعار السانسكريتيه اللطيفة فلذا كان
 البانديتيه الذين هم المعلمون للسان السانسكريتي اذا عرفوا
 من قبل قطعة من الشعر حرروها وافرغوها في قالب حسن
 مقبول حتى يزول عنها عيب النظم ورداءة التركيب
 وكان عندي في شأن مدينة ماثورا اخبار تخصها فلذا
 اعتنيت بملاحظة منظرها واكافها فاذا بلادها كثيرة الرمال
 وتفيض عليها المياه في فصل الامطار حتى تكاد تغمرها وتجبد
 حول المدينة كما نأمن الاجر وليس هناك شئ من الآثار

والرسوم المهمة وقد بحثت عن القطع المسماة مدالية فلم افز
 منها بشئ بخلاف الانكليز فان كثيرا منهم يجمعون منها
 جلا عظيمة لان السياح الذي يمر بالبلاد مجرد مرور لا يتأق له
 أن يطعم في مضاهاتهم بحيث يكون عنده من الوسائط
 وقوة التأثير ما يعادلهم به فانه زيادة على ما يذولونه في ذلك
 من الاموال يستعملون في البحث عن تلك القطع خدما
 متعودين على هذا العمل لا يظهرون منها شئ لمن يسألهم عنها
 ولما كان حكام تلك البلاد يعاملون اهلها بالعسف
 والظلم منذ مدة طويلة كان الالهالي الى الآن لا يخطر ببالهم
 أن هنالك حكومة قوية عادلة فلو فرضنا أن الهنود يملكون
 من هذه القطع مقادير كثيرة لما اظهروها لارباب الحكومة
 الانكليزية ولان يلوذ بهم وقد تعذر على ايضا تحصيل الرقوم
 المنقوشة على ألواح من النحاس واما ما وجد منها الآن
 فمن المعلوم انه وجد بالصدفة والاتفاق حين حفر الآبار
 والغدران او حفر اسس المباني والعمارات
 وجميع اكناف مدينة اغرا يرغب في الاطلاع عليها
 فتري هنالك مدينة ديج التي بها اعظم سرايات الهنود
 وألطفها ومدينة بورتبور الشهيرة بمقاومة حصنها للانكليز
 ومدينة غداوند التي فيها بركة مباركة لطيفة جدا يسمونها

ترثة وكل شيء في هذه المدينة هندي فوجد فيها كيفية معيشة
البراهمة كما هو مسطور في كتاب مانو ودواوين الاشعار
القديمة غير أن البحث فيها عن شيء من العلوم مما لا طائل تحته
فان البراهمة لا يفقهون ولا كلمة واحدة من الكتب التي
يتصدون لتسخنها بل ربما كانوا لا يحسنون قراءتها وقد
قابلت منهم رجلا بين ماثورا و بندرانند كان يحرس
معبد صغيرا هناك فسألته هل تعرف اللسان السانسكريتي
فأجاب بداهة وقد استغرب السؤال ماذا اعرف لا اعرف
الا الاكل

وعلى البعد من مدينة اغرا بستة فراسخ مدينة اسلامية
يرغب في الاطلاع عليها يقال لها قنجا حبور سكري واعظم
ما فيها من الآثار والمباني المرغوبة صحن كبير مربع في داخل
مسجد يشتمل على مدفتين لطيفين بنى احدهما تذكرا لولي
عظيم كان قد دعا لاحدى زوجات الشاه المسمى اكبر فحملت
ببركة دعائه وابواب مدخل هذا الصحن على احسن شكل
من اشكال البنيان وهناك ايضا مباني اخرى صغيرة لطيفة
الاجزاء مقبولة الشكل نظيفة المنظر وكلها مبنية بالاججار
الوردية اللون وبجانبها تجددت عدة مساكن تكونت
منها المدينة الموجودة الآن المضروب عليها سور يظهر انه

لم يكن من قديم الزمان مضروبا على سرايات الشاه وكان هذا
 السور في ايام الشاه اكبر عبارة عن خلوة لطيفة بدع
 فيها نساءه حين يسافر للغزو * ومدفن التاجهال انما بنى
 تذكارا لامرأة فماذا ترى بعد ذلك فيما يقال في حق المشاركة
 من الخط والتشنيع عليهم ووصفهم بالحقافة على كونهم
 يحجزون نساءهم في البيوت ويمنعونهم من الخروج
 وقد حصل في مدينة بيور قيام وقتنة منعته من رؤية
 تلك المدينة التي هي على ما يقال من المدن التي يرغب
 في مشاهدتها والاطلاع عليها فكنت فصل الشتاء بتمامه
 في مدينة اغرا

ومثل هذا القيام الغير العام يحصل غالباً في بلاد الهند
 فيبادر الانكليز الى اخضاعه حتى تسكن البقعة في اسرع
 وقت وهو يدل على قلة صبر الرؤساء من الهنود وعدم تجلدهم
 لتحمل مشاق احكام الانكليز وعلى أنهم بمعزل عن السياسة
 وحسن التدبير فلذا كان يكفي في قمعهم الاى او الايان
 من العساكر الانكليزية وللانكليز هنالك جيش عظيم تفتخر
 عساكر الهند بالانتساب اليه والانتظام في سلوكه والانكليز
 يحترمون او هامهم الدينية ويصرفون لهم ما هيأتهم بالترتيب
 والانتظام ويختصون بإيرادات الهند وتجاراته وهم آمنون

على ذلك لحسن ادارتهم في هذا المعنى فلا تجرد من الهنود
من يتضرر من الحكم الا الفلاحين الا أن غيظهم لا يخشى
خطره وبالجمله فكان الاوفق بهم أن يتظاهروا من رؤسائهم من
الهنود الا انهم لا يريدون ولا يتجاسرون أن ينهوا ظلامتهم
ويتواشكواهم من رؤسائهم الى ارباب الحكومة
الانكليزية وان كان هؤلاء الحكام دائماً مستهدين للذبح
عنهم والاخذ بناصرهم

واهل مدينة اغرا يتكلمون باللسان المعسمى هندستان
اوردو وهو لسان اغلب كلماته فارسية ويتكلم فيما حولها
بلسان يسمى هندستان بنجا وفي هذا اللسان كثير
من كلمات اللسان السانسكريتي وليس له في النطق به كيفية
معينة ولا طريقة مخصوصة فمن كان يعسر على الانسان
أن يقف على الحقيقة ويفهم الغرض المقصود من هذه
اللغات المختلفة بل كان يعسر ذلك ايضا على من صحبتني من
الهنود في اسفاري وارتمالي من بلدة الى اخرى

وصلاح الزرع في ناحية اغرا متوقف على امطار
الصيف الدورية فان احتبست عنهم تلك الامطار احملوا
وجدبت ارضهم وقد وقع في السنة التي مضت قبل وصولي
الى تلك البلاد قحط مهول تعذر على الحكومة مع اهتمائها

منع اتلافه ودفع افساده فيكنت ترى جميع الغيطان
والفلوات مملوءة بجماجم الادميين وعظامهم * ولولا أن
في كل غيط بئر لما امكن تحصيل شئ من الارض وكيفية بناء
هذه الآبار هي انهم يرصون على سطح الارض صفوفا من
الآجر فتغور في الرمل بنفسها حتى تستقر على الارض وتثبت
منها على قرار مكن واغلب تلك الآبار ردى المياه ومن مدينة
كنبور تجدد البلاد في تلك الجهة اقل في الزراعة من
بلاد بنجاله السفلى وليس في منظرها ما يسر الناظر ويحب
الناظر فان مياه نهر يومنا تتروك السواحل المتسعة بعد
انحسارها عنها قحلة يابسة فيكثر فيها العاقول المسمى عندهم
جنجل ولا ترى هناك الا اطلالا ورسوما من المدن والقرى
واليوت والمقابر الاسلامية والبرك والآبار المهجورة ولا يهتم
الهنود بتعمير شئ من ذلك او اصلاحه ولا يهتمون ابدًا عملا
اندهاه غيرهم اما افساد او هاهمهم او اهكبرهم واعجابهم
بأنفسهم بخلاف بنجاله السفلى فان ما بها من الرسوم
والاطلال يستره ما يخرج بارضاها من النباتات الكثيرة بل تجد
في الغالب ما يكتنفها من الاشجار اللطيفة يكسبها نضارة
ومنظرا بهجاء يبعث الناظر على اقتراح الشعر واما البلاد
العليا فترى فيها الآثار القديمة مكشوفة لا يسترها شئ

من النبات بل هي تزيد قبح منظر تلك البلاد وبالجملة فن مدينة
اغرا ومدينة دلهي لا ترى الا منظر حزن واكتئاب
يدل على الدمار والخراب

ورجال هذه الجهات طوال شداد حسان الحلقة وهم
في السواد دون اهل بنجالة السفلى وقد سافرت غير مرة
على التختروان فيما بين مدينتي كنبور ودلهي فكان
جملة التختروان يقطعون في سيرهم مع الجرى اربعة فراسخ
او خمسة وقت اشتداد الحر في النهار ويشربون الماء على
الدوام ولا يأكلون مدة النهار الا حفنة من الجلبان اليابس
بدون طبخ وقبانية الانكليز تجمع العساكر من اهالي البلاد
العالمية فيحضر اليها كثير من الناس ليكتب في زمرة العسكر
لكن لكثرتهم لا تأخذ منهم الا من كان طويل القامة
ولهؤلاء العساكر في المشي خفة وشعم فهيئتهم في ذلك مبانة
للهيئة العنيفة التي عليها عساكر الانكليز وليس ثم الطف
ولا اجل من الفقراء الطوال الذين يمشون عرايا متجردين عن
التياب وليس هنالك ايضا من يضاهيهم في لطف الصورة
والقامة ولا يدري كيف هذه الصور الحسان لم تأخذ بالباب
المصورين وتحملهم على أن يخذوا حذوها في صناعتهم
وشكل المباني الهندية زيادة على كونه متأصلا عندهم

هو ايضا على غاية من اللطف والظرافة بخلاف فن النقش
والرسم فانه لم يحصل له هناك تقدم اصلا بل معرفتهم فيه هينة
جدا ومع ذلك لهم مزيد اعتناء بالبحث عن المنقوشات
والمرسومات فتجد بيوت آحاد الالهة الى منهم مملوءة بها ولهم
ايضا اعتناء باهل هذا الفن حيث لا يتفكرون عن ترغيبهم
على الدوام ولندكر لك هنا أن معبودات الهندود لها
في التصوير اشكال مخصوصة لا يتعداها المصورون وهي
اشكال بشعة المنظر غير متناسبة لها عدة رؤس وعدة اذرع
فروشها رؤس افيال واجسامها اجسام طيور وهي اعظم
ما يعتنى بتصويره المصورون على الدوام وهذه الاشكال
البشعة الخالية عن الاحكام والتناسب واللطف هي دائما
سبب في فساد اذواقهم وقلة تمييزهم

واذا اتخمت قليلا عن الطريق الموصلة من مدينة كنبور
الى مدينة اغرا صادفت مدينة قانوجه القديمة التي
كانت سابقا تحتها لدولة هندية ذات شوكة ورأيت موقع
المدينة الجديدة يكتنفه من سائر الجهات تلال متسعة فيها
طوب من الاجتر وهو من آثار المدينة القديمة وهناك ربوة
عليها صحن مربع حوله اعمدة ليس عليها اثر شيء من التماثيل
وانما المرغوب من آثار تلك المدينة نقش على صورة الهيكل

الهندي الموقوف على جميع الالهة التي يعبدونها الهنود
والمدينة المذكورة كورة قدرة وليس في آثارها ما يستحق الطلاوة
والبهجة التي تظهر على صورتها في الرسم والتصوير وهي واقعة
على ربوة صغيرة يجري في أسفلها فرع من فروع نهر الكنك
صافي الماء عذب المورد وحولها خائل اشجار ومجارى
سيول عميقة كانت في سابق الزمان ماوى للصوف الذين كانوا
يلتجئون الى اراضي الملك اودة فيجدون بها ملجأ مأمونا
ولم يزل هذا الموضع الى الآن له شهرة رديئة وسيرة قبيحة

وربما عثر فيها احبانا على شخص قديم وهي القطع المسماة
مداليات ولما رأى البراهمة أن السياحين يرغبون فيها
ويبحثون عنها صاروا يصنعون على شكلها ويعرضونها عليهم
ويصحبونها بماء الورد والحلوى ولغباوتهم يعرضون منها على
السياحين ما كان جديدا شديدا اللعان لقرب هذه
بالصناعة ويدعون انها شخص قديم وجدوها في اعماق
الاطلال وهم اصحاب معروف يودون مصاحبة السياح
في جميع جهات المدينة ويعترفون له بالمنة ويشكرونه
على ما يعطيه لهم من نقود الرميات

وقد احسن الانكليز قرأى في جميع سياحى وقابلوني
بالترحيب والاكرام نعتنى انى لا اقدر ان افصح عما يصدر عنهم

في ملاقاته النزول من الاخيلاص والمعروف والترحيب
والبشاشة فان هذا مما تفرغ عنه العبارة وانما تذكر ذلك
دائما تذكر الشاكر ولا انسى صنيعهم في الماضي
ولا الغابر

(الباب الرابع)

في ذهابي الى مدينة دلهي وزيارتي فيها للورد الحاكم
وذكر الجنرال وتورة والمبادرة بالسفر الى لاهور
وعبور نهر سوتليجة وذكر كاپورثله ولصوص الليل
وزيارتي لسردار كاپورثله ووصولي الى لاهور واجتماعي
بجناب الملك رانجيت سنغ وذكر الااليات المضبوطة
على منوال الضبط الفرنسي وبيان نظام الادارة في
پنجاب وما جمعه كل من الجنرال كورت والجنرال
وتورة من المداليات وذكر البانديتي الاعظم الذي بمعية
رانجيت سنغ

قل أن يحتاج السياح لاستكشاف امور جديدة فيما تحت
حكم القمبانية الانكليزية من البلاد التي يسهل عليهم
استكشاف ما فيها واستخراجها فان جميع بلاد الهند يقيم بها
مدة ثمانية اشهر مهندسوا الاوارجة الذين يسهل عليهم
اختبار البلاد ورسم ما فيها من الآثار الشهيرة ولوهينة

ويبينون

ويبينون للناس التفاصيل الشافية في الجغرافية
والارشنيولوجيا (اي علم الآثار القديمة) فلم يبق اذن
على السياح الامعيانة ما هو معروف لاستكشاف شيء
مجهول ولا ريب أن هذا الاختيار وان عظمت مرغوبيته
لا يصل في ذلك الى درجة اختبار البلاد الجديدة والاطلاع
عليها فلذا كانت جميع آمالي وجل الغرض من سياحتي انما
هو لأجل بلاد لاهور وكشمير وكان اللورد الحاكم
اذالني في مدينة دلهي فسافرت في اوائل شهر مارث
قاصدا زيارته واستئذانه في الذهاب الى كشمير غير مكترث
براخيث سنغ فيما كان الذخاياه واعذب كلامه حيث
وجدت فيه ما جلني على الوثوق بحمايته ومساعدته وقد
اتفق أن الجنرال ونورة قدم وقتئذ الى مدينة دلهي
فالتمس مني التماس الاحباب أن يقوم بجميع ما يلزم لي من
الخدم وقال لي اذا التقينا في لاهور لم يحتج الى شيء اصلا
حتى ثبقت اني اذا وصلت الى هذه البلاد قوبلت فيها
بالترحيب والاکرام بحيث كنت معتمدا في ذلك على حماية
الدولة الانكليزية ذات الشوكة القوية ومعولا على ما وقع
للسياح ياكيمونت من النصائح والاعايات الجزئية التي
لاجلها اطلب في مدح الجنرال الاردو ولما ذهبت لاستأذن

اللورد في المسير قال لي اذهب الى موسيو تورانس كاتب
مترى فوجدته مع وكيل دلهي يرتب معاشا لأمراء
الهنود الذين سلبت منهم املاكهم واقطاعاتهم فكنت أمتـر
كلما سمعت هذا الكاتب الشفيق يقول رأفة بهؤلاء الأمراء
ويكثر مامعناه مساكين مساكين

ثم اني خرجت من مدينة دلهي مستعجلا فتركت فيها
الخيام والاثقال وركبت على بريد الدالك وهو التختروان
الذي يحمله الرجال كما تقدم فتقابلت في مدينة لوديانة مع
الخواجة وفيه وكان راجعا من رحلته الثانية الى بلاد
كشمير فقص علي قصصا وحكايات عظيمة في شأن مخضاه
حكومة لاهور وكرمها وحقق عندي أني لا احتاج
في سفرى الى شىء واعاد على الجنرال وتورة التماسه
الاول في شأن المؤدة والخدمة فلذا لم اذكر في الاحتراز
من عوارض السفر بالتأهب والاستعداد بل لمزيد وثوقى
بما سمعت اجتزت نهر سوتليجة في الخامس عشر من شهر
مارس سنة ١٨٣٩ من الميلاد فلما جديت بمهاو غدت
به وعدا مؤكدا بل طفت بجميع تلك البلاد وانا
في اسوء حالة واحقر اهبة وربما نزلت على امطار غزيرة
فاضطرتت بها الى الالتجاء الى اماكن رديئة حقيرة مملوءة

بالقمل

بالقمل وغيره من الحشرات المؤذية * ثم ان اقليم بنجاب زيادة
على ما فيه من الانهر الخمسة الكبيرة يرويه ايضا عتدة جداول
صغيرة لا تخاض في زمن ذوبان الثلج * وزراعة هذه البلاد
جيدة فيما حول القرى والضباع وقد رأيت القمح فيها وهو
في سنابله والخشخاش قد ازهر ويحصد الزرع الذي
في ~~ال~~كناف مدينة اغرا في اواخر شهر مارث فهو
سابق على الحصاد في بنجاب ~~بال~~كثر من شهر وهذا
التفاوت الحاصل في مزاج الهواء ليس منشأه مجرد اختلاف
العرض بل هو ناشئ ايضا عن كثرة المياه التي تروى
ارض بنجاب

ثم نزلت في مدينة كابلور تيلة وسكنت منها في سراية كبيرة
ذات اعمدة وسدود مسطوحة للزرع والفرس وآراج
واما كن متسعة ذات شبايك وكانت غير مسكونة واطننا
لانسكن اصلا فانها في الحقيقة من اغرب عمارات الهند
وذلك اني لما سكنتها وجاء الليل وكان الوقت اذ ذلك
صحوا والقمر على غاية من الازالة رأيت اشعة نوره تتلاعب
بين الاعمدة حتى كأنه يخرج منها كل طرفة عين خيالان
يرجف منها القلب ويفزع وفيها ايضا امور اخرى يخاف منها
فاني بينما كنت في النوم اذا حسست أن شيأ يؤخذ من

تحت رأسي وكان هذا الشيء هو المحفظة الصغيرة التي كنت
اكتب فيها تسويدات الرحلة فظننت اني احتمل فلما اصبح
وجدت المحفظة في غير موضعها وفقدت بعض اشياء من
امثلة الرجال الذين كانوا معي في السفر ولم اقف لها على اثر
فعرض علي السر دار حاكم البلاد أن يدفع لي ثمن الاشياء
المسروقة ومتى كان للانسان حظوة وقبول عند حاكم
من حكام تلك البلاد عادت عليه السرقة بالمنفعة العظيمة فانه
يدفع له اكثر من قيمة المسروق وقد كنت ذهبت لا تقابل هذا
الحاكم فاذا هو مفروط في الغلظ وذلك عند الهنود من صفات
الجمال الممدوحة او من شعار الاعتبار والوقار لان السمن
عندهم علامة على اليسار والاقدار بخلاف الخفاف فانهم
عادة صغار لا يقتدرون على تحصيل الاقوات الجيدة
والاطعمة الطيبة بل يشدون احشاءهم لثلاث نضرتهم المسغبة
وكان ذلك اول مرة رأيت فيها ديوانا هنديا فتعجبت
مما رأيت فيه من المخالطة بين الامير واتباعه وبقية الحاضرين
على اختلاف درجاتهم فاني وجدت هذا الامير ووزيره
واصاغر الاتباع جالسين جميعا على الارض في اودة واحدة
وقد ابدي هذا الوزير ما لا مزيد عليه من الرغبة حين اطلع
على ما في رحلة بورنس من التصاوير والرسوم وكنت

استصحب هذه الرحلة معي الى بلاد الهند ولم يلتفت
الى ما كان يرد عليه من مكاتبات المصالح ولا الى اوامر
سيده وطلب مني اهل الديوان أن آتيهم بعدة اشياء
ليطلعوا عليها فأخذوا نظارة صغيرة من النظارات التي كانت
معي ولو طلبوا ازيد من ذلك لما قدرت على الامتناع فالحمد لله
على هذا التأديب الذي لم اغرم فيه اكثر من ذلك
فعلى السياح أن لا يطلعهم على ما تسمح به نفسه فانهم
لا يتكشون عن طلبه واخذه * ثم ان بعض اراضي
هذا الحاكم واقع على الشاطئ الاخر من نهر سوتليجة
والفضل للانكليز عليه حيث جوه من اقيات رانجيت سنغ
وتعديبه على اراضيه فلذا كان يظهر منه أنه يحجم
ويعمل اليهم

وكان وصولي الى مدينة لاهور في الحادي والعشرين من
شهر مارث فأقت فيها مدة لم اقابل الملك ثم بلغني ذات يوم على
حين غفلة أنه يريد مقابلتي فقابلته على البعد من المدينة
بفرسخين ولم تكن هذه المقابلة عظيم شيء بل لحقارتها جللني
على أن اسبي الظن بالابهة والرونق المشرقين ثم اني اهديت
اليه بوصلة (بيت ابرة) من القضة واحدى عشرة قطعة
من الذهب وينبغي للانسان اذا اهدى هنالك مثل هذه

الهدية أن يستريده بسائر عند تقديمها ولما كانت عادة
 الهنود أنهم لا يلبسون القفاز في أيديهم كانوا إذا قدموا
 هدية جعلوها في طية من ثيابهم وكان هذا الملك جالسا
 على كرسي ذي مساند بين أحد علماء البانديتية وابن الوزير
 وكان الوزير نفسه جالسا على الأرض والافرنج هم الذين
 احدثوا عندهم عادة الجلوس على مثل هذه الكراسي
 في دواوينهم وعقودهم أيضا على أن يمشوا على البساط
 النفيسة بالنعال المتوحلة ورأيت الملك صامتا يظهر عليه
 أنه حزين لكن لم يكن ثم شيء يدل على قرب أجله ولما أخذ
 البوصلة نظر إليها وهزها هذا عنيفا فظهر لي أنه لم يفهم فيها
 شيئا ثم انهم سألوني عن وظيفتي في فرانس فأجبت بأنني
 وكيل من وكلاء الدعاوى في المحكمة وحيث انهم لم يرجوا
 هذا اللقب ترجحة صحبة سألوني ثانيا فقالوا أي بلاد
 كنت تديرها في فرانس وهل في وسعك أن تحكم
 اقليما كما كان مني الا اني حافظت على الجدة ولم اظهر ادنى
 شيء يشعر بالاستعزاز بهم لاقتضاء الحال هيبة هذا المجلس
 وتوقيره * ولا تدري الهنود ما معنى الارشاليات العلمية
 لان كل شيء عندهم من قبيل السياسة حتى ظهر لي انهم
 لم يثقوا كل الوثوق بما يدينه لهم من الاغراض الحاملة الى

على السياحة في بلادهم بل كان عندهم نوع ربية في ذلك
ثم اراد الملك أن يقضى الحاجة فأتى له في الديوان بأداء
من المعادن فاستكنى في التستر باستدبارنا وقام له عند
ذلك جميع الحاضرين اجلالا له وتعطيا حتى فرغ
من قضاء حاجته

ثم اذن لي في الانصراف واعطاني ما يعطى عادة للسياح وهي
كسوة التشریف السمائة بلسانهم **ك**كيلات وهي عبارة
عن شالين خففين بعتهما في السوق بسبع روبيات
(أي سبعة عشر فرنكا) وامر لي بصرف ثمانين ربية
واحدى عشرة صحيفة من صحاف الحلوى عند وصولي
الى كاشمير واخذت منه ما هو أهم عندي من ذلك وهو
تذكرة السفر الى هذه المدينة ويقال لهذه التذكرة
عندهم بروانة ثم حيت هذا الملك الهرم وفارقت
وانصرفت ولم أره بعد ذلك

ثم ان مدينة لاهور تظهر للناظر من بعيد انها ذات منظر
لطيف لكثرة قبائرها المذهبة فاذا دخلها لم ير الا بيوتا قدرة
وأزقة ضيقة في وسطها جدول ماء منتن وبجيطها خندق
واسوار وليس حولها الا قاذورات يترغ فيها خنازير سود
يغضها كل من المسلمين والافرنج وبالقرب من المدينة محل

يقال له اناركالى وهو مسكن كل من الجنرال وتورة
والجنرال الارد وسهل متسع لأجل الرياضة ومنازل
للعساكر وبيت نزهة كان للجنرال الارد وهو الآن
مدفنه وليس في انار المدينة القديمة شئ من الامور الجلية
الخطيرة بل هي بشعة المنظر لما فيها من الاوساخ وكذلك
البلاد المجاورة لها فان منظرها كمنظر بلاد الهند العليا
لا يسر خاطر ولا يشرح صدرا

ومدينة لاهور المذكورة هي تحت اقليم بنجاب
وان كانت لم تصل الى هذه الدرجة من حيث الدين والتجارة
لان اهم المدن هناك انما هو مدينة امرتسير فانها
مستودع عظيم لتجارة شيلان الكشمير حيث يوجد بها
من هذا الصنف مقدار كبير وهو فيها ارخص ثمنها
عما في كشمير وليس فيها شئ من الاثار المرغوبة الا البركة
المقدسة التي يعتقدون بركتها ولهم في هذه البركة كتاب
ديني يسمى غرانث ينسب لطائفة من الهندويقال لها
سجنس وهو موضوع هناك في غرفة صغيرة قبتها مذهبة
يتوصل اليها بقنطرة منيرة بشموع موضوعة في شمعدانات
كبيرة وحوالها آراج يقيم بها امراء دين تلك الطائفة المسمون
اكاليس وهم في ظاهراً حوالهم من الفجرة الاشرار

يلبسون

يلبسون السواد ويمشون وسيوفهم مسالوة بأيديهم
وقد قابلت منهم عدة اناس وتكلمت معهم فوجدتهم من
الاخيار ويحسنون ملاقاته من اراد الاطلاع على هذا
الكتاب والبركة المذكورة اذا بذل لهم شيئاً من الريات
وخلع نعليه وارض اقليم بنجاب على غاية من الاستواء
تفيض عليها مياه الانهر في فصل الامطار وترى في جميع
جهااتها سهولا منسعة خالية عن الزراعة يرفع في حشائشها
البقر والجاموس وهذه الحيوانات عندهم مقدسة مباركة
فعلى من اراد الامن على نفسه من العطب أن لا يتعرض لها
فان ارتكاب اكبر الكبائر اهون من قتلها ولو خطأ

وفي هذا الاقليم كثير من اراضي العاقول المسماة جنجل
وفي هذه الاراضي كثير من الاشجار الصغيرة والاشجار
الكبيرة التي تبلغ عشرين قدما وفيها من حيوانات الصيد
على اختلاف انواعها ما لا يحصى كثرة

وعساكر السردارات (اي الحكام الهنديين) اغلبها خال
عن الانتظام والترتيب وفيها بعض الايات متعلقة اصول
العسكرية على المنوال الفرنسي وبتنادي في الحركات
العسكرية بكلمات النداء الفرنسي ورايتها مثلثة الالوان
كراية الفرنسي ولهذه الجنود المنتظمة الفضل

على رانجيت سنغ حيث اكتسب بها جزاً مما له من
الشوكة والقوة لاسيما كرم المشاة الذين هم في بلاد
المشرق على غاية من الابتدال والاعتقار وكان عنده
عساكر طوبجية مهيبة الا أنه لم يمكنه أن يتعود على طريقة
الاستحكامات القرعة (اي المساوية لسطح الارض)
واما الحصن الذي بني منذ قليل في مدينة امرتسار
فهو على المنوال القديم جدرانه مرتفعة فوق الارض
ورؤساء الشخص على غاية من الشجاعة وشدة البأس قترهم
في الصيد والقنص يهجمون بانفسهم على الخنازير الوحشية
والنور حتى كأنهم يصارعونها ولا يخطئون المرمى اصلاً
في صيد طير او ارنب يرى ويستعملون مدافعهم استعمالاً
جيداً الى الغاية ومع ذلك فجميع عساكر پنجاب لا يمكنها
مقاومة بعض الايات من عساكر الانكليز و رانجيت سنغ
يعرف ذلك حق المعرفة حتى انه على ما يقال يستعز غالباً
من سرذاراته على مدحهم لانفسهم بالشجاعة
وفرط القوة

ورؤساء الهنود وضباط الافرنج يدفع لهم بعض ما هيأ لهم
من النقود والبعض الآخر من القرى فهم في الغالب
مضطرون الى الالزام بدفع الخراج بطريق القهر والغلبة

حيث يعينون لجبايته عساكر يرتكبون في ذلك جميع
 انواع المفاسد والاحجاف ورؤساء القرى يقبضون
 محصولاتها لانفسهم بشرط أن يدفعوا للخرينة المبررة
 مقدارا معيناً وقد يكونون تحت تبعية رئيس خط او حاكم
 اقليم فيدفع هو ذلك المقدار للخرينة من الخراج ومتى قام
 هؤلاء الحكام بدفع هذا الخراج (يعني المقدار المذكور)
 لم تعتن الدولة بالالتفات الى سلاصكهم في مأمورياتهم
 وهذه الاراضي التي يقبضون خراجها لانفسهم ليست
 الا مجرد اقطاعات هينة فانك تجد من الاعيان من له اراض
 خاصة به يولي عليها مديرين وجكاما من طرفه وله عمال من
 تحت حكمه قائمون بطاعته وامتثال اوامره ومنهم من هو
 اغني من الملك ولا يجب للملك عليهم الا مجرد اتباعه في الحرب
 واخراج ما يخصه من العساكر وهذا كما ترى هو عين طريقة
 السيادة الالتزامية

ولاجل منع ما كان مضرًا بالبلاد من السرقة وقطع الطرق
 ينط كل رئيس قرية بكفالتها حتى لو وقع شيء من ذلك توجهت
 عليه المسؤولية وكان هو المطالب به وكان رانجيت سنغ
 يأمر بقطع انوف الدكوات وهم ارباب الصيال وقطع الطرق
 وهذا العقاب يقع كثيرا في بلاد بنجاب ومن صار جددع

يقطع انفه جعل مكانه انفا مستعارا وية معذر على الانسان
 من بعد تميز تلك الانوف المستعارة من الخلقية واما ذنوب
 الاعيان فعقابها دفع المغارم وقل أن حكم رانجيت سنغ
 بالقتل على احد الأأن الحكام والسردارات الاخر يفعلون
 في بلادهم ماشاؤا فيحكمون في دعاوى المعاملات والجنايات
 بما ارادوا وقد اضطر الجنرال كورت ذات يوم الى الاجابة
 والتسليم في كون عساكره يحرقون عائلة من المسلمين كان
 كبيرها قد قتل ثورا وكل ذلك لم يترتب عليه طريقة
 مستحسنة في الحكومة ولكن اذا تأملت الحالة التي كانت
 عليها هذه البلاد سابقا لم تجد بد من مدح هذا الرجل العظيم
 (يعني رانجيت سنغ) الذي اكسبها الهدوء والعز وكان
 اجتماعي بهذا الملك الهرم في اواخر عمره وكان لامناء دينه
 والانكلز سلطنة عليه حيث كان مفوضا لهم امر خزانته
 ومملكته وكان في مبدأ امره زميندارا (اي اميرا صغيرا)
 خاملا خاليا عن حسن التربية اقميا لا يقرأ ولا يكتب
 ولا يعرف اللسان الفارسي الذي هو لسان الدواوين
 والسياسة قصر القامة غير جميل المنظر مع أن حسن الصورة
 في تلك البلاد له اهمية كبيرة واعتبار عظيم فتوصل بمجرّد
 براعته وجودة قريحته أن تملك على مملكة كبيرة كمملكة

فرانساً من غير أن يريق فيها نقطة دم ولا أن يستعين على ذلك الا بمهارته في السياسة الملايعة لاخلق اهل تلك البلاد وقد قضى عمره في مدة معارضة الانكليز ومنعهم عن ان يكون لهم نفوذ كلمة في بلادهم لكن آل امرهم الى أن تمكنوا من ذلك وكان قريب عهد بالاذن لهم في مرور عساكرهم من بلادهم ليسلكوا منها الى مملكة افغانستان

ومن اعظم البراهين الدالة على حزم رانجيت سنغ وحقه في السياسة اعترافه بالعجز عن مقاومة الانكليز وعدم اعتراره بمحار من الظفر والتجاح واهماله لاغواء سرداراته الذين لو أطاعهم لوقع في الخطأ بتصديه لمقاومة شوكة قوية عليه فنع بذلك ان يكون للانكليز مدخلية في مباشرة مصالحه الداخلية لانهم بهذه المدخلية صار لهم سلطنة على سائر ارباب الشوكة من الهنود الذين جبروا على قبول مدخليتهم في مصالحهم

ويمكن أن بلاد پنجاب تصير مستقر شوكة مهيبة لاسيما اذا جمع الخطر العام (اي الخوف من شوكة الانكليز) بين السخس والافغان بحيث يصير الامتان حزبا واحدا لكن هاتان الامتان يهتض بعضهما بعضا اكثر من بعضهما للانكليز بل في پنجاب نفسها عدة من رؤساء البلاد

جردهم رانجيت سنغ عن اراضيهم فأعادتها اليهم
 قباية الانكليز فلها بذلك المنة والفضل عليهم والمسلمون هنالك
 مظلومون فهم يعضون كلام من الشخص والهنود
 وهذا التفاقم الواقع بين الملل وبين الرؤساء وبين الطوائف
 الذين عرف الانكليز بهارتهم كيف ينتفعون منه بعرف به
 سبب ما حازوه في تلك البلاد من القوة العجيبة والشوكة
 الغريبة فلم يكن لهم في ذلك الانسليط هذه الامم المتباغضة
 التي كل واحدة منها تبغى بحق الاخرى على بعضها وهذه
 الطريقة السياسية هي التي سلكها في اوروبا من اسس
 شوكته على اثر شوكة غيره بعد ان محققها الان بلاد الهند
 فيها الاختلال والتفاقم اشد ووسائل الغالين تفضل ووسائل
 المغلوبين فضلا بينما بحيث لا نسبة بينهما فلذا كان التجاح
 فيها اسرع

ثم ان مدينة لاهور فيها كثير من الكتب الفارسية
 والهندية المنسوخة بخط اليد وقد خطت فيها بشراء
 الغرانت وهو (كاسبق) كتاب ديانة الشخص وهو
 باللسان البنجابي المسمى ايضا باللسان الجورموني
 وهذا اللسان لكونه اقرب للسان السانسكريتي من الفارسي
 قل أن يفهمه المسلمون

ثم ان الجنرال وتورة جمع جملة من المداليات قتلها الى
 بلاد الجنرال الارد وكذلك الجنرال كورت جمع
 ايضا منها جملة وقد بحث كل منهما عنها في ارض مانكالا
 ولم ~~تصن~~ كن كلفة ذلك عليهم ما يجزى بذل الاموال الجسيمة
 بل تكاف امر آخر ايضا فانهما لولا نزولهما بألايات
 من العسكر في مظان ذلك وحظوتهم عند من يرغب
 في اسمائهما وحسن التفاتهما اليه من اهل تلك البلاد
 لما نجحا في تحصيلها فمن طمع من السياحين ان يتحسروهما
 في ذلك ويفعل كما فعلا فائما طمع في تحصيل امر خيالي
 لاحقية له وطالما شاهدت اناسا يأتون بالمداليات للجنرال
 وتورة وقد اتخفى منها بجملة من الثخاس واعطى منها
 ايضا شيئا لواحد من اطباء الانكليز كان يجتهد في تحصيل
 جملة منها واتخفى الجنرال كورت بلو حين من الثخاس
 عليهم اقشوش قديمة وليس فيهما شيء من الامور المرغوبة
 كما في امثالهما من العنوانات التي لكونها عبارة عن مصف
 مشتملة على اقرار الملوك للاقطاعات التي يقطعونها رعاياهم
 تذكري من يطلع عليها باسم الملك المقطع ويبيع حوادث
 حصلت في ايامه وكان قد اشتهر خبر هذين اللوحين من جريدة
 حوادث كلكتة

ثم أن الملك رانجيت سنغ كان عنده عدة من البانديتية
وكان له في مدينة بيناريس رجل من البراهمة قائم له
بوظيفة الصلاة والدعاء ولما كان هذا الملك مشغول الفكر
باقترب وفاته كان يود أن يوصي على روحه جميع القديسين
واعظم من كان عنده من البانديتية مشهور بانه علامة
صاحب فضل ومعارف وكان يني وبينه مراسلة ومكاتبة
باللسان السانسكريتي وكنت قد ذهبت لزيارته فرأيت عنده
كتبخانة عظيمة جميع كتبها باللسان السانسكريتي وكانت
هذه الكتب قد سرقت في فتح مدينة كشمير فطلبت منه
قائمة باسمائها فقال لي ما الفائدة في ذلك وانماخذ هذا الكتاب
يعنيك عن كل علم فأخذته فاذا هو كتاب يتعلق بالدين ألفه هو
في بيان حقيقة معبوده المسمى سيوة وصفاته وكان
هذا العالم شديد الغيرة على اتباعه ثم ان العلوم التي يعتنى بها
البانديتية الذين اهم الماسم بشئ من المعارف او الذين يزعمون
ذلك هي علم الفلك او التنجيم والمجادلات الدينية وليس لهم
الا أن ميل الى التشبث بأداب لغتهم المستظرفة
وبعد زيارتي لهذا العالم انقطعت عني اخباره ولا يخفى انه
انما تركني لكوني فقيرا محتردا في تلك البلاد عن الظهير
والمعين

وانما جلنى على الرحلة الى تلك الجهة غرورى باخبار
 السايحين والمواعيد الاكيدة التى وعدت بها فى شأن الحجابة
 والاعانة فاستشعرت أن هذه الرحلة قد عرضتني الى موانع
 وعوائق عظيمة غير أني لم اكن مستعدا للرجوع فتركت
 كثرة الفكر في شأن ما انا قادم عليه من المشاق وتماذيت
 على السفر مصمما على المخاطرة

(الباب الخامس)

ففى سفرى من لاهور الى كشمير والكلام على وزير آباد
 وغوزارات وغوزونواله وعلى قارورات دغن والدى
 رانجيت سنغ واحتفال جنائز الهنود والسجنس
 وعلى بنبر وعلى معامله النساء فى الهندستان وتعريض
 قتلى الاثريلى فى الطرق وعلى الزواج فى الهند وعلى وادى
 راجور ومنبع المياه الكبرى وعلى ما يقوله الهنود فى شأن
 الدول الافرنجية وعلى مرورى من بيربانجال وسراية
 الباباد ووضولى الى كشمير

فبعد أن اخذت من الملك تذكرة الطريق المسماة عندهم
 بروانة سمعت فى تحصيل تذكرة اخرى من الصدر الاعظم
 المسمى رجا دهان سنغ حيث كان لابتلى من المرور
 على ارضه فذهابى الى كشمير لأن الحكومة فى لاهور

الترامية فكل رئيس فيها سيد على اراضيه مطلق التصرف
 فيها واعطيت لاجل الحراسة في السفر خفرا يتغير في كل شهر
 وكذلك اعطيت خادما من اصاغر الخدم لاجل تسليته
 تذكرة الملك وتذكرة الصدر الاعظم ثم ان قري الضيف
 من خصوصيات اهل المشرق فانهم يقابلون نزيلهم بغاية
 الترحيب والاكرام ويواعدونه مواعيد اكيدة بانهم يذلون
 نفوسهم في خدمته وهذا وان كان من المواعيد المزخرفة
 والعبارات الموهمة الا انه لا يخلو عن بعض الصدق في اي
 محل كنت انزل به من الطريق يا تون الى بطيور ولبن وفروش
 وحشاش لفرسي وهذا الاكرام الذي قابلوني به هو ادنى
 درجات الكرم عندهم فان احسنوا القري اصحبوا التزويل
 بخادم من اكابر الخدم يتلقى منه الاوامر ويتبعه ايما توجه
 ويجلب له جميع ما يمكنه جلبه من تلك البلاد ويعظم قدره
 بين الناس ولكني كنت على خلاف ذلك وكان اعظم مصائبني
 هو ان التذكرة التي بيدي كانت محددة للطريق التي اسلكها
 مع غاية التدقيق بحيث كان لا يمكنني مجاوزتها

وكان خروجي من لاهور في الخامس والعشرين من شهر
 ابريل فذهبت من الجهة الاخرى من نهر راوى ونزلت
 في مدفن جديا بجير فوجدته كغيره من مدافن الامراء

يشقل على بستان ومسجد وخان ثم سافرت منه وكنت
كلما اردت النزول نصبت خيمة صغيرة لانقي من الشمس
ولا المطر ولا الرياح ولا الغبار وربما نزلت ببعض الاحيان
في سرايات لطيفة مخفوفة بالبساتين فكان تنوع حظي بهذه
المنايا في مدة سفري كلها لا يخلو عن اللذة وانبساط النفس
وجميع اراضي تلك البلاد ذات رمال كثيرة العقول ولا يزرع
منها الا ما حول القرى والضياع وكل اراضي الهندستان بهذه
المنايا حتى البلاد التي تحت حكم قبانية الانكليز وسبب
ذلك كما سلفناه ان الفلاحين لا يجاسرون على التباعد عن
بلادهم بمسافة بعيدة خوفا من ارباب الصيال المسلمين
ركوات ومن الحيوانات المفترسة لاسيما اهل بنجاب
فان اسباب الخوف عندهم كثيرة ويزرع هناك القمح
والشعير والزعفران وقصب السكر وقد وجدت غدة باتات
من الشوفان الازب ذى السقا وحبه كثير الدقيق
ولا يزرع هناك

والقرى العظيمة مبنية على ربوات صغيرة مستورة بأسوار
مرتفعة ولا هلمها اعتناء بغلق الابواب مدة الليل وكل شئ
هناك يستدل به على أن تلك البلاد مكنت مدة طويلة
تخربها الحروب واغارات ارباب الصيال وقد قابلت فرقا

عسكرية نازلة في الطريق لمنع هؤلاء الناس من التلبس والتسلب

واشهر ما هنالك من المدن التي في جهة اقليم پنجاب مدينتا وزير اباد وغوزارات فاما وزير اباد فقد جدد معظمها الخراب اريتاييل وشارعها البيبر على غاية من الحسن واللطافة ومن الغريب أنه ايضا على غاية من النظافة وفي كلتا جهتيه صف من الدكاكين وبها المسمى باب لاهور على شكل قوس من اقواس النصر ويتوصل اليه الداخل من طريق مغروسة بالاشجار وفي طرف المدينة بستان عظيم فيه عدة سرايات وعلى البعد منها خمسة فراسخ مدينة غوزارات وهي من بلاد الصدر الاعظم راجا دهان سنغ وكان اذ ذاك يجري فيها اشغالا عظيمة وله بالبعد عنها بفرسخ سراية لطيفة والظاهر أن جميع تلك البلاد اخذت في الصلاح

واسماء المدن والقرى بتلك الجهة ذات ترنم ونغم مطرب بعضها يذكر السامع باسم اله او باسم ولي او حادثة شهيرة يجد لها السامع ما يجد وعند سماع الشعر من اللذة والطرب وهذه الاسماء تتغير غالبا عند ادخل تلك البلاد حتى أن الهنود والمسلمين ربما سمو القرية الواحدة باسمين مختلفين

وتصادف

وتصادف في جميع الطريق بسايتين مغروسة بأشجار البرتقان
والرمان والغار وكثيرا من الآبار التي بعضها كالعيون وترتفع
مياهاها بواسطة آلة وتصب كالشلالات في حياض واغلب
هذه الآبار من الامور الخيرية ووجوه البر ولا شيء أبقى
بامور الخير التي من هذا القبيل من تلك الاقطار القحلة
الشديدة الحر

وفي مدينة غوزرونواله سراية صغيرة فيماستان وقفها
الملك على طائفة الفقراء المعروفين بال دراو يش (فهى كالتيكية)
وفي هذه السراية قارورات دفن والدى وانجبت سنغ
(وهى القارورات التي حفظ فيها رماد جثتهم ما بعد احراقها)
ولم أر غيرها من هذا النوع في بلاد الهند وذلك لأن
الهنود والسحس يحرقون اجسام موتاهم ويتركون
رمادها ولا يحفظونه في وعاء من الاوعية

وفي بعض الاحيان كنت اشاهد وانا اترىض على شواطئ
النهر احتفالات احراق الموتى وكيفية ذلك ان اقارب الميت
يحملونه الى الشواطئ ويوقدون نارا كبيرة او صغيرة على قدر
حالهم ثم يجثون على ركبهم مصطفين واحدا بعد واحد
ويصلون صلاتهم ثم يذهبون للاغتسال حتى اذا اشتعلت
النار وتأججت انصرفوا قسما الكلاب رائحة الرمة بعد

انصرفهم فتأني اليهم من جميع الجهات تحاول اخذ قطعة مشوية من نخذ الميت او ذراعه ولا درى هل عدم احترام الميت بهذه المثابة عام لكل تمت حتى الاكابر او هو مخصوص بغير الاكابر

ولكن هذا يخالف لما ذكره كولبروك في مجموعاته ونصت عليه الكتب السانسكريتية في وصف هذه الاحتفالات حيث ذكروه بوجه آخر

ولنذكر لك هنا كيفية صلاتهم على الميت وهي عبارة عن مواظبة ليلوها اقارب الميت وهم جاثون على ركبهم حول النار الموقدة لاجل احراقه من غير أن تدمع اعينهم بل يمنعون انفسهم من البكاء عليه وهي

مجنون من يطمع في بقاء الحياة البشرية السريعة العطب كسوق اشجار الموز والمارة كزبد الامواج

وحيث ان الجسم المتكون من العناصر الخمسة ظهر ايجازي على اعماله التي عملها في وجوده السابق ثم عاد الى عناصره الاولية المذكورة فما الموجب للاسف والبكاء عليه

واذا كانت الارض كلها مصيرها للزوال وكذا البحر المحيط بل والالآهة انفسهم فكيف بانخلق الضعيف المسكين انسانا وكيف يتأني له الفرار من العدم

وكل صغير عاقبته العدم وكل رفيع غايته السقوط وكل جسم
مركب نهايته التحلل وغاية الحياة الموت
وحيث ان الارواح تتأذى بالبكاء فلا تبك بلى وف برسم
الخنازة على ما ينبغي

ولاحاجة لذكر اسفار اليومية تفصيلا لما أن الحوادث
التي كانت تحصل فيها لم يكن لها كبير فائدة وانما اقول
انه كان معي في تلك الاسفار خفر وخدم وقاسيت فيها
مالا مزيد عليه من الجوع والعطش والحرق وذلك أن مشايخ
القرى المسمين ثانا دار لما كانوا مجبورين على العمل
بما في بروانة الملك وبروانة الوزير كانوا يبعثون الى بلاد
ما في الأسواق مما احتاجه منها ولا أجل أن يفهموني انه
لا ذنب عليهم في ذلك كانوا يمنعون الباعين أن يبيعوا الى شيأ
والضابط الذي كانت معه البروانة لم يكن جليل المقام حتى
يمثلوا امره بل رأيت منه أنه كان يتفق مع جميع الناس
على سرقة مامعي وعلى اجاعتي وكنت اسافر مدة من الليل
لأن الرياح الحارة كانت وقتئذ قد أخذت في الهبوب ولأن
حرق النهار مضر تفتر به الهمة وفي مسافة الطريق كنت دائما
أرى الجبال فكنت اتسلى على تعبي برجاء اجتيازها بعد يسير
من الزمن

وبقرب تلك الجبال كنت ارى السهل يعظم انحداره ويبدى
للرائى صفائنا قليل الارتفاع وجميع ماحوله من البلاده
موقع عظيم بحق أن يرسم وتؤخذ صورته ورأيت في مدينة
بنبر امرأة مربوطة في المحراث مع ثور من ثيران الحرثه
وفي بلاد الهند تجد نساء العامة غير مقصورات بل يخرجن
ويشتغلن كثيرا وازواجهن في الغالب يسيوون معاملتهن
بخلاف نساء الخاصة سواء كن مسلمات او هنديات فانهن
دائما مقصورات في بيوتهن ولا يساح لاحد أن يتكلم بشئ
في شأنهن فلذا كانت عوايدهن مجهولة وانما الذي
يعرف في حقهن أن ازواجهن قد يلحقهم الفقر والافلاس
لما يذلونه في تحصيل الحلي والملابس الفاخرة لهن وليس لهم
في هذا الحلي نخر ولا عجب لانه محجوب عن الابصار والنساء
وان كن مقصورات في البيوت ولا يخرجن عن طاعة
ازواجهن بل هن دائما تحت قبضتهم وتصرفهم الا أنه لم يضع
لهن شئ من نفوذ الكلمة عليهم وهذا يرد على من اعترض
على اهل المشرق في عاداتهم مع نسايتهم
والارض التي بين مدينتي بندا وبنبر ذات رمال مختلطة
بفراش من الحصى المستدير فهي كشواطئ البحر سواء
بسواء وفيها ايضا كثير من الحمار الصغير

ولما ذهبت الى مدينة بنبر نزلت في سهل امام الدرب
بمسافة صغيرة فرأيت موقعا حسنا ومنظرا متنوعا جديرا
بأن تؤخذ صورته كمنظر الجبال عادة وفي هذا المحل اخر
شجرة من اشجار المنغير والجهة الاخرى من الجبل شديدة
البرد على اهل تلك البلاد و^كان نزولي تحت تلك الشجرة
فرأيت بجانبها جدول ماء جار يكتنفه اشجار مزهرة من
شجر الدفلى

وسهل بنبر محصور بين الجبال وحتره شديد جدا وفيه نهر
صغيرة تده الامطار على حين غفلة حتى لا يمكن خوضه وقد
اردت أن اشرع في ابحاث جغرافية حتى اعرف مجرى هذا
النهر فلم يؤذن لي بالمرور فألححت في ذلك فلم اجب الا بالمنع فترتب
على هذا المنع بانضمامه الى الحتر وتعب السفر أن اصبحت بالبحر
حتى غلبني القيء و^ككانت حتى جبلية لادواء لها الا بالنقلة
فسافرت مع تسعة رجال لجل امتبعتي واثقالى ولم يقع لغيري
من الا فرنج مثل هذه الالهة الحقيرة فوجدت في اعلى الدرب
منزلا معدا لراحة السياحين وفيه جمجمتان معصوبتان
بدوائر من الحديد تنزل عليهما الاغربة جريا على ما سبق
لها من اكل الرمم في هذا المحل لأن عادتهم هناك أنهم يشنقون
المذنبين ويعرضونهم في الطرق ليكونوا عبرة لغيرهم

وتسمى هذه السلسلة الاولى من تلك الجبال بسلسلة جبال
اوديدوك

وفي جانب الجبل طريق ضيق في غابة من اشجار التنوب
الشاة بلوط يهبط منها الى واد قعزت بقرب بركة ومع ما عتراني
من وعناء السفر والمشاق وشدة ما جده من رؤيتي لنفسى
كلاسير واساءة ادب الخفر الذين كانوا معي لم يفتني شئ من
مشاهدة مناظر الجهات المحيطة بنا فان ذلك الوادى اللطيف
المسقى بالغدران الصافية المياه والمحفوف بالتلال المتنوعة
المناظر في آن واحد والجبال المشيدة التى على ذروتها
الخصون الشاهقة والصخور والآجام والبساتين والغيطن
المزروعة بتكون منها منظر بهيج يأخذ بالالباب وكان بجوار
البركة التى نزلت بها مسكن رجل مسلم من الفقراء اهل
الطريق قد دعانى للضيافة في منزله فاحسب أن ابيت تحت
كبد السماء المزين بالكواكب التى كنت اشاهدها
كأنها مرآة منعكس فيها الجبال المظلمة الالوان ومنتعش
فيها صور ذلك ومع ذلك فقد شكرت دعوة ذلك الفقير الكريم
ولم اجد به الى الضيافة وقد رأيت أن المسلمين اكثر ميلا لقراء
الضيوف احتسابا من الهنود في عمل الضيافة ولا اخص
بذلك مسلمي اقليم بانجار الذين هم في اشد الظلم والفقر

بل اعتم جميع مسلمي بلاد الهند كما قد ذكرت ذلك في غير موضع
من هذه الرحلة

فليس عند هؤلاء المسلمين تلك الاوهام والعيوب التي تمنع
الهنود بتغلبها على عقولهم الفاسدة من أن يعيروا الغرباء
سنازلهم أو شيئا من الادوات المنزلية.

وقد مر بالطريق مساء محفل من الرجال مابين مشاة وفارسان
وكان يضرب امامهم آلات مفرحة مطربة وكان ذلك عرسا
فأشاروا الى على الزوج فوجدته شابا صغير السن يبلغ من العمر
تس سنين أو ست ولم تكن العروس في الزفاف في هذا المحفل
وهذه الامور من الدقائق التي لا يليق لمنه الى الاستغماص عنها
فلم يمكن أن استفيد حقيقة هذا الزواج الغريب انما وقعت
على أنه تزويج الصغير للصغيرة وكذلك زواج الشيوخ
بالابكار المراهقة فتعقد اقارب الزوجين العقد باعتبار احوال
ثروتهم وشرف عائلتهم وهذه هي المكافاة عندهم

وفي بعض بلاد الهند يقتلون البنات اذا هن واهن تزويجهن
بالكفاءة وقد اجتزت سلسلة جبال ثانية تسمى كيمان كوشاه
فوصلت الى وادي راجور بعد مسيرة يومين وفي الطريق
خانات للمسافرين كان قد بناها المالك الكبير ومعظم هذه
الخانات قد تهدمت واما الطريق التي احدثها المسماة بالطريق

السلطانية فليست الآن الاطريقاضيقة رديشة لايمكن
مرور شخصين معا بلصق بعضهم في اتجاه واحد ويشاهد
الانسان قبل الوصول الى مدينة راجور حصنا فيه برج
شاخ يظن على بعد أنه بيت ناقوس كنيسة من كنائس بلاد
اوربا فياله من محل لطيف يهيج به قلب السواح من الافرنج
ويجت الى وطنه ويؤذ كرمسقط رأسه ووادي هذه الجبال
يروي به نهير تزداد مياهه كل يوم بمائذاب من الثلوج فلا بد
للانسان غالبا من عبوره وفراش هذا النهر يتكون من حصي
دقيق متقوج يصعب بسببه عبور هذا النهر وتجد في بقعة
هذا الوادي آثار قصور الحصون متفرقة شجر بفر

وكان الرجا الذي هو حاكم مدينة راجور قد تنازل
عن بلاده وأهداها لرجا دهان سنغ وكان في بلاد لاهور
حين مررت بها فلم أقابله الا في اوتى من هذا السفر فوجدته
من صلحاء الاسلام حيث يرى منه أنه متفرغ بالنكية للعبادة
غير أنه كثيرا ما أحسن تدبير أمور المملكة في الاوقات
الصعبة مثل كثير من الناس الاتقياء وقد سألتني ماذا يحصل
لبلده اذا استولى الانكليز على اقليم بالمجباب فأجبت
بأن السؤال عن هذا لا يعنيني البتة وكذلك لما سألتني
ولده عن ظفر الجيوش الانكليزية في مملكة افغانستان

اجبته

اجبته بهذا الجواب بعينه وقد تعجب كثيرا حين اخبرته أن
الفرنساوية والانكليزية دولتان مختلفتان وكان يعتقد قبل
ذلك انهما معا شر فرنساوية رعية القمبانية الانكليزية وقد انجز
الكلام على سيرة الامبراطور نابوليون فكأنوا يعتقدون
انه قد أضرم نيران الفتن مدة من الزمن في وطنه وانه بعد موته
خدت وعادت الى ما كانت عليه من الانتظام وبالجملة فجميع
الهنود على العموم لا يعرفون جميع الاسماء الافرنجية قديمة
كانت أو حادثة الارومة واسكندر وارسطاطاليس
وافلاطون وسقراط وسولون ونابوليون والقمبانية
الانكليزية والحكومة الفرنسية والموسقو ويعتقدون
أن رومة هي القسطنطينية وهي اوروبا بتمامها من غير تمييز
فتقول مؤرخوهم مثلاً ان الملك اسكندر الاكبر كان قد وفد
الى بلادهم من مدينة رومة وعندهم كلمة قمبانية من اللفاظ
التي تبهر العقول وتسحر الالباب فيعتقدون انها منطوية
على جميع نفاخ الدنيا وشوكتها ففسرت لهم ذات يوم معنى
هذه الكلمة الحقيقي وكيفية أصول جمعية التجار الانكليزية
الى صيرورتها دولة بالهندستان فاستشعرت منهم انهم
لا يصدقون كلامي البتة وقد أخذت الآن الموسقو في
اشهار صولتهم وجلالة اسمهم في تلك البلاد فحدثت الهنود

في شأنهم كثيرا ويظهر منهم انهم يحبون سماع أخبار هذه الدولة
وتفصيل حالها وكان اذ ذاك وقت حراثة الانكليز في مملكة
افغانستان كي توقف توسع شوكة الموسقو في تلك الجهة
فكانت ارباب الحكومة الانكليزية ترخص لمن يؤلف كازنات
الوقائع في أن يتكلموا على حسب مرادهم في شأن الموسقو
وفي مقاصد اغارتهم على المملكة المذكورة وما لهم من
الجواسيس في بلاد الهند وكانت تبيح لهم ايضا أن يوقظوا اهل
الافغانستان أن يأخذوا الحذر من الموسقو ولا يميلوا لهم لان
حكومة افغانستان متلونة بل مستبعدة لكونها تستبدل
حكامها الظلمة بدون أن تتفكر في نجاتها من ايديهم ومق
تكلمت الهنود في شأن دولة من الدول الافرنجية فأول
سؤالهم يكون عن معرفة مقدار ما عندهم من المدافع ولهم
ميل ايضا الى التسكلم في الامور السياسية وحيث كان لا المام
لهم البتة في اي حكومة من حكومات الافرنج ويظنون ان
الانسان يهزأ بهم ويسخر اذا اخبرهم بالصدق في شأنها تعسر
عليهم الوقوف على حقيقة الحال والوصول الى ما فيه لهم
المصلحة والغبطة وقد أخذت الاذن من ابن حاكم تلك البلدة
في الذهاب لرؤية عين الماء الكبرى التي توجد في التزاماته
فوجدتها عيناً غزيرة الماء جدا يتكون منها في اقرب وقت

غدير كبير يقذف على شواطئه الكبريت في حالته الطبيعية
ومنظر حوالى هذه العين من البقاع بركاني حيث يوجد فيها
مقدار عظيم من سulfates الحديد والنحاس (اي التوتيا)
وجميع ما بقى من الوادى حسن الزرع وعظيم الخصوبة جدا
وأرزها جيد حتى انه اذا غلى فقط في قدر ولم يتبل بشئ من
البهارات كان لذيق الماء ككل وينبت فيها أشجار الشمس
والبرقوق والتوت ويخرج منها ايضا نوع ردىء جدا من
التوت الافرنجى ذو أزهار صفراء وتزرع أشجار البرتقان
والرمان فى البساتين ثم ان اهل القبائل الجبلية النازلة بين
القرى وبعضها لم تنزل فى حروب مستمرة مع بعضهم وقد
أخبرت فى طريقى أن خمسة رجال أوسمة قد قتلوا فى معركة
ويظهر من منظر رجال تلك القبائل الذين قابلتهم انهم ذوو
استعداد الى الحروب مع بعضهم فبمجرد ما أبصرونى فزوا
خوفامن ان تقبض عليهم الخفراء الذين كانوا معى فيحصل لهم
الضرر

فبمجرد خلو الطريق وسلوكه اجتزت جبل بيربانجباب
فرأيت انه يختلف مناظر وادى راجور الباهرة جبال ذات
قنات مملوءة بغابات أشجار الراجنج والسيول المهولة القرعة
حال السقوط والشلالات النابعة من الصخور العالية وكان

اذ ذاك زمن ذوبان الثلج حتى اني مكثت مدة قليلة من الزمن
 منغمساً في واد عميق يصل ماؤه الى خاصرقي فصرت مجبوراً
 على أن اتسكك بالأشجار الصغيرة وفروع الأشجار الكبيرة في
 مسيرى وكانت الثلوج تخلع من الجبل اجباراً بحسبة قسطة
 قطعاً ويتعذر على الانسان ان يعرف كيفية سقوطها واتجاهها
 فيحتس منها فقد انقلب احد الخفراء على ظهره بسقوط حجر
 منها عليه وفي جبل بيربانجال محل منحدر جداً يرتقبه
 الانسان بواسطة عدة محال متوالية ينزل بها لقصد الراحة
 والقرى التي توجد في تلك الجبال حقيرة فيرمون حول
 المساكن القاذورات ورمم الحيوانات فيشق على الانسان ان
 يجد محلاً يضرب فيه خيمة صغيرة ومن العادة الجارية ان يذبح
 الانسان ذبيحة من المعز لاتباعه على حجر معد لذلك في المحطة
 التي ينزل فيها قبل اجتياز جبل بيربانجال والجبل المذكور
 من هذه الناحية منظر جلالة وحزن فان النظر لا يبصر من
 جميع الجهات الا جبالات ذوات ثلوج واجبات من اشجار
 الراتنج ولا تجد في جميع اماكنها انيساً ولا تسمع صوتاً وانما
 تسمع في مسافة بعد اخرى تغريد امطر بالذيذا يشجي السامع
 بصداحه بعض الطيور المقيمة بهذه البقاع الخالية عن
 السكان

ولما وصلت الى رأس جبل بيربانجال جاءني رجل قصير
القامة جدا بأزهار ويقال ان له سرا عجيبا عنده شيء من
السحر يقتدر به على اثار هبوب الرياح والفرطونات
وتسكينها ويترأى منه بلزومه الصمت والتفكير انه يحاول
ثبات ما يودع في قلوب الناس من الاحترام لاسراره فأردت
التكلم معه فلم يجبني بشيء

ويوجد على رأس ذلك الجبل حصن خال من السكان مدة
الشتاء وسفح ذلك الجبل ممتد محيط به من جانيه صخور
مخضرة اللون لا يذوب الثلج من فوقها ابدا وقطره بارد جدا
وتكتنفه غمامة كثيفة تحجب الطرف من ان يرى ما حول
ذلك السفح وقد اشتدني التعب فاستطعت فارت الهمة فوق اجار
كان يسمع تحتها خرير عين ماء وكان ينمو بجانبها الحشيشة
المسماة انجليقا (اي حشيشة الملائكة) فغشيننا الليل
وأخذنا في السير فوصلنا في جنح الليل الى محل يسمى على اباد
وليس هذا المحل الا مجرد خان لاسواق قد جاء من التدمير
الكلي شدة الحاجة اليه بلا محالة قرت به في غرفة مسودة
بالدخان لم تسع الا فرشة واحدة لا يمكن الوصول اليها
الا بالمرور من سرداب فكنت اصل اليها منه صاعدا بواسطة
سلم وكانت الارض اذ ذالمة مظلمة بالثلج المتدفق ومن سفح

الجبل قبل خان على اباد تنزل في سهل عميق فكنت اكابد
 المشقة في مشاهدة المخاوف والاهوال في اثناء وميض
 البروق وقرقرة الرعود المفزعة فان موقع هذا المحل الذي اقم
 به عرضة لهبوب الرياح العواصف التي اهلكت كثيرا من
 السياحين فقد وجدت في الطريق آثار رمة رجل سواح
 سبي الحظ ممزقة بالكلية وكان لحمه الذي كشفته الثلوج
 منذ مدة قليلة محفوظا حفظا تاما وبعد أن جبرنا على الإقامة
 في ذلك الخان مدة يومين سافرت مع سقوط الثلج وشكوى
 اتساعي (مننا أن نجتاز طول الطريق ثانيا سيمولا منجمدة وكما
 نجد قناطر صغيرة من الخشب حادثة الصناعة لاجل عبور
 السيول الصعبة ويوجد هناك حصون تشرف على الاودية
 وعلى الطرق متباعدة عن بعضها والجهة المقابلة من تلك
 الجبال الى جهة الشمال مملوءة بحشائش كثيرة ويوجد ثم
 كثير من الاشجار التي شوتها نار الصواعق وفيها ايضا بعض
 اشجار كانت قد أوقدت بسفع سيقانها السياحون النار
 وأحرقها للحاجة ويهبط الانسان مدة كثيرة قبل الوصول الى
 الوادي ومشقه الهبوط أكثر من مشقه الصعود لكونه
 منحدرًا ومن هنا يسهل على الانسان أن يعتبر ييادى الراى
 قدر وادى كثير العالى وقد وصلت اليه في اثنين وعشرين

خلت من شهر ايار فوجدت في اول محطة زربية مزروعة
 بشجر التفاح ومحفوفا بجنادق يثبت فيها الشوك وشجر
 الابخرة والبرسيم الاحمر فكانت اخل الى في زربية من
 التزامات اقليم نورمنديا العليا ولكن قبيح منظرها احزنني
 عوضا عن ان يجلب الى السرور فصرت حينئذ في اسوء حال
 من الغم والكآبة حتى ان التصورات الاولى التي خطرت
 بذهني في شأن هذه الاراضي الجميلة المنسوبة لمدينة كشمير
 تبدلت بالتأسف على مفارقة وطني

ويمكن للسياح ان يسبح في اي مكان اراده من هذه البلاد
 بواسطة حماية اهل الحكومة الانكليزية التي تتكفل بحماية
 ارباب الحكومة الهندية الاهلية فان نقاد اللوازم والمهمات
 وعروض المشاق التي لا يمكن درؤها في السياحة لا يمكن
 تداركها الا بواسطة تلك الحماية ولا تكون الاقل مما ينظر
 الانسان حصوله في شأنها في هذه الاكالات التي لم تزل باقية الى
 الآن على قلة التمدن ثم ان اقبح مدار ارض هذه الجهة الدود
 الصغير الذي يكثر انتشاره في البيوت وفي الاراضي ايضا اقترها
 دائما تتعلق بالانسان وصور البلاد وأهلها واخلقها لانتسبه
 غيرها من باقي البلاد ويحصل باختلاف الامكنة وكثرة
 تنوعها في الغالب ومن عدم الوقوف بمنزل يأوي اليه

الانسان ومن الحوادث المستقبلة التي يتوقع عروضها مبيل
ورغبة لاهلها في عيشة الرحالة النزلة ومن المهم تخطيط جميع
هذه الجهات لقصد فائدة العلوم الطبيعية والمواليد وعلم
الجغرافية وليس فيها شيء يحتاج وصفه مما يتعلق بعلم
الارشنيولوجيا (اي علم الآثار القديمة) ولا بعلم الادبيات
والتواريخ اذ لا يوجد الا في آثار قديمة ولا كتب ولا علماء
وهذا امر غريب حتى انه يوجد في وادي كشمير وكذا
في الجبال الخافة به من جهة الشمال آثار قديمة واما كن
معدة الحج وروايات تتعلق بالآثار القديمة الهندية وحيث
كان يشاهد في وادي راجور **ك** كثير من بقايا الحصون
فلا مانع من ان يعلم ببادئ الرأي ان رؤساء ذلك الوادي
يحارب بعضهم بعضا وانه في اثناء التعمير **ك** رات المستقرة بهذه
البلاد يتقرض جميع آثار علم الآداب والانطقة وكنت
أفكر في وحيدي وانفرادي بهذه البلاد وانه ليس معي من
يفيدني من الاخبار الصحيحة التي تخص هذا الوادي وكلن
يمكن بالوسائط والوسعة ان اكون سعيدي الحظ يملو غ الاخبار
اللازمة لي في هذه الاسفار

(الباب السادس)

فيما يتعلق بالكلام على مدينة كشمير وعلى القبة المشيدة

فوق

فوق الجبل وبيان معتقد سكان هذه المدينة في حالة واديها
 الاولية وذكر ما يتعلق بسيدنا سليمان عليه السلام ووصف
 كاسيابه وعلى الآثار القديمة وعلى الراقصات وعلى
 بندي كشمير (اي علمائهما) وذكر الموانع التي عاقتني عن
 اتمام هذه الرحلة امام مدينة كشمير فانها تمتد بطول نهر
 جالوم ويوتها اتخذ من الخشب على قواعد من ابحار النحت
 وشبابيكها مغلقة بواسطة انواع من الخشب منفرجة بحيث
 يدخل الضوء منها وهذه الشبابيك متنوعة الصور والرسوم
 فيرفعونها بحسب الطلب وتورق مدة الشتاء وسطوحها
 مغطاة بالطين قنبت فيها الحشائش والازهار وبهذه المنابة
 جميع بيوت الوادي ومن بعيد يرى لجميع المدن والقرى
 منظر بهيج وبطول شاطئ النهر ابحار جسيمة متراكمة من
 ابحار النحت تتكون منها اربعة وجميع المساجد متخذة من
 الابحار المنحوتة وهي من آثار الهياكل الهندية القديمة
 ما عدا المسجد الاعظم فانه مشيد بالخشب ويوجد على عدة
 ابحار صور على ثلاثة منها نقوش منها نقش في النهر لا يشاهد
 الا وقت هبوطه الزائد والقناطر الموجودة على هذا النهر
 مشيدة بالخشب فوق دعائم من ابحار ولهم حوانيت
 كالحوانيت المصنوعة فوق القنطرة المسماة نف (اي

الجديدة) ومن أطف ما يوجد وقت المساء الرياضة
والترفيه على شاطئ هذا النهر فان ظلام الليل يخفى عن اعين
الناظر وساخة المدينة واهلها ويشاهد الانسان بعض شبائك
داخل البيوت المظلمة تمتاز عن ماعداها بالضوء والنور فيظهر
للمتنزه اجمل والطف الاشكال العجيبة الباهرة التي تلعب
بالابواب في تلك البلاد

ويشرف على مدينة كشمير حصن يتراءى من بعدانه بشع
المنظر مخيفه وبأسفله قصر يكاد ان يكون جميعه محفوظا
وحوالى البلاد بحيرة لطيفة محفوفة بالجبال ومملوءة بالنباتات
والازهار غير أنها مضررة بالصحة جدا بسبب عفوتها ويصعد
منها رائحة الطين المنتنة عند يسها ونشافها ويصب فيها كثير
من العيون فتارة يصب ماؤها في النهر وتارة تصعد وترجع
الى حيث أنت بسبب فيضان المياه المجاورة لها وعلى شرف
شاطئ هذه البحيرة قبة هندية شاهقة البناء فوق تل
ومجاورها مسجد يضاهيها غير أنه قد عني بالكلية اما هي فلم تنزل
الى الآن باقية على ما كانت عليه وانما يشاهد لها بعض
ميلان كأنها اضطربت برجة قوية وتشتمل هذه القبة على
شجرة تسمى باللغة الهندية لانغا ورأس تلك القبة على
هيئة ناقوس

وتطلع الهندو السياح على المحل الذي كان النبي سليمان عليه السلام قد أمر المياه فيه ان تغور وترغم ان وادى كشمير كان سابقا بحيرة فصار على حين غفلة ارضا معمورة فالمسلمون منهم ينسبون هذه المعجزة الى سليمان عليه السلام وغيرهم يعزونها الى كاسيابه اعنى الشيطان المتمرد الشهير عندهم باسم موئي وهو الذي كان قد خرق ذلك الوادى ووصله ببارموله وربما قطعنا النظر عن الخرافات وقلنا ان الوادى كان بحيرة وان مياهه المحصورة تمر على حافاتها فآل امرها أن افتتح لها مجرى من بارموله التى ارضها منحدرة جدا بموجب الرواية المأثورة عنهم وذلك أليق بالنفس واقبل للعقل ولم تزل الالهالى تشهد الى الآن نقصان مياه تلك البحيرة بالتدريج ويطلعون السياح على سهل متسعة يزعمون انها كانت غدراننا وكثير من العيون ما غار وجف ماؤه بل صار لا يوجد للمياه اثر فى بقايا المدن المتسعة جدا التى بالنظر للوادى الكثير المياه لا يصح ان يقال انها بنيت فى أماكن لا ماء بها وارض كشمير مشهورة عند الهندو بكونها مقدسة ولها ايضا عند المسلمين مزيد احترام ولكل طائفة محل فى هذه الارض للحج والتقىا وسير مأثورة عندهم غير أن جميع ما فيها من الآثار القديمة الدينية يعزى الى الهندو ويطلعون

السياح على لحية كبيرة يزعمون انها لحية نبي وفي البحيرة حجر
على صورة رجل كان انسانا ذاروح فسخ صورته ولقى من
المسلمين كان قد غضب عليه ولهم آثار أغرب من هذه
الآثار وهي هياكل عظيمة وبقايا ابنية جليلة فاقت على
اغتيال نفوس أعاديهم الذين كانوا قد هدموا بهدمها فنجزوا
عن أن يقاوموا امتاتها وأغلب المساجد التي شيدها المسلمون
بجوار الهياكل الهندية ليست الآن الا خربة مع ان تلك
الهياكل لم تزل الى الآن باقية على ما هي عليه

والقصور الجديدة التي انشأها ايمبراطرة الموغول في غاية
من الحفظ لاسم البساتين والقصور العجيبة المنسوبة لكل
من الملك شاهباز ونيشاهلباز الذي لم تزل حكومته
أخذة في الاهتمام بحفظها من التلف والدمار اما البساتين
فهي على صورة مدرج وكل دور منها يشتمل على ابنية سواء
كانت كثيرة الاهتمام او لا وفي الوسط عين ماء يتكون منها حال
جريانها شلالات وبرك وفساق ذوات فورات وتحت الشلالات
حفرة صغيرة معدة لان تظهر فيها الاضواء المنعكسة في مياه
تلك العين ذات البريق واللمعان ويبيح اهل تلك البلاد للنساء
الراقصات ان يغتسلن في تلك الحياض على صورة عرائس
البحر فان لهم ميلا عظيما في مشاهدة اغتسالهن بهذه المثابة

وفي مشاهدة لمعان اشعة تلك العيون وبريق الاضواء
 المنعكسة في المياه وصور ارجح البارود لأمعة جدا فيطلقونها
 غالباً في بيوتهم لقصد التفرج عليها حتى في غير المواسم
 فيجمعون في هذه الملاهي بين النساء والازهار والملابس
 الفاخرة وآلات الطرب والرقص ويحبون الزخرفة والمبالغة
 فيما يخص الملابس والمواسم والابنية والاشعار وبانهما كهم
 على هذه الملاهي المعدة لتنزيه اعيانهم وحواسهم الغير المهذبة
 يعلم من غير شك انهم اضعاء واما اودعته القدرة الالهية
 في النوع الانساني من الذوق وخاصة الاحساس ومتى اقام
 الانسان زمنا طويلا في المدن الكبيرة بين اهلها آل أمره الى
 ان يتعود على استعمال المجازات في تراكيب كلامهم
 وعلى التصنع الذي يزينون به دواوين اشعارهم الفارسية
 والذي يظهر أنه هو الذي يبعثهم على الالتفات لذلك
 ومن المستحيل في هذه البلدة الممدوحة جدا بجمال نسائها
 ان يبصر الانسان اناسا مشوهين الخلقة والصورة كما يشاهد
 في الحارات والنساء الممتازة قليلا عن غيرهن لا يمكن لاحد
 من الرجال أن يشاهدن بخلاف غيرهن من الرقصات
 وحيث ان الحسان منهن يرسلن الى مدينة لاهور وغيرها
 من الهند ولا يرجعن الا بعد ما يعقدن المحاسن التي يستلن بها

القلوب الخالية عن الاشغال لا ينبغي ان يحكم عليهم بشئ ما
 بالنظر لكونهن في مدينة كشير ولم ار في الراقصات التي
 جئن لزيارتي جميلا الا امرأتين او ثلاث ومع كونهن ذوات
 شعور حسنة التصفير وسود العيون وظهر يقان التقاطيع
 وصاحبات حلي وملايس فاخرة واغاني مطربة ورقص
 لطيف فلا بد من منفرد يصرن به من القبيحات بحيث لا يحصل
 للانسان منه استلذاذ ولا مأرب ويتعاطين في آن واحد
 حرفة ضرب الآلات المطربة والرقص ومنادمة العشاق
 ولهن اعتبار عظيم بين الهنود حتى ان الانسان الذي لا يقبل
 عليهن يعتزدي التربية جدا وغناهن لطيف يهيج النفس
 ويغلب على العقل متى كان دالا على الحب والعشق ويظهر
 للانسان من اول وهله انه غريب الشكل ولكن مع التدريج
 شيئا فشيئا يتعود عليه ويصير مألوفه ويتطبع به واما الكحل
 الذي يكتحل به فانه يطول شكل اعينه والاحتمال يكون
 لقصد التجميل والزينة وايضا فهو وسيلة للتوقي من الرمد
 الكثير الوقوع في هذه البلدة بسبب البرك الراكدة ويتعلم
 حال الصغر تصنع جلب المحبة والعشق والحياء والغيرة
 ويفصح عن هذه الخصال بطريفة لطيفة أقرب للحقيقة جدا
 بحيث يتعذر على الانسان الاحتراس من مخالطتهن وحفظ

نفسه من الميل اليهن والوقوع في احبواتهن وليس لهن هيئة
قبيحة مصطنعة كما هي عادة الراقصات الا فرنجية اللاتي يقفن
في الجملّة الراقصات الهندية فوقانا عظيمًا في الظرف والخفة
واهل المشرق مع كونهم يتزوجون بنساء عديدة لا يمتنعون
في الغالب من ان يدعوا هؤلاء الراقصات في مواضعهم
ومجتمعات انهم لما ان الرقص والغناء ممنوعان رأسًا من تربية
المحصنات من النساء

واما الراقصون من الذكر ان فيتزين بزى النساء في ملابسهم
ويجتهدون من صغرهم في تقليد النساء في التصنع والتكسر
حتى انه ربما اشتبه على الانسان ان يميز كونهم ذكورا واناثا
وهم في الغالب فرقة من الحرف السافله التي ترقص وتلعب
امام الناس من غير تستر في محل ويلعبون ايضا ألعابا مضحكة
مختلفة النوع في التقليد على اختلاف طباع الناس الذين
يقلدونهم وجسارتهم على السخرية والاستهزاء بالدولة
وضباطها عجيبه وذلك لما ان التناول وقلة التحاشي من
اخلاق الهندود بحيث لا يخشون عاقبة ذلك من الذم
والاستهزاء بهم

ولما وصلت مدينة كشمير وجدت به ارجلا يسمى
ميزاحد وهو المنشئ القديم لما يكون فأقادي بأشياء

تخص بلاد كشمير وأخبرني بالاماكن التي يرغب في
الاطلاع عليها بالنقوش والآثار القديمة والاطلال
وأحضر لي بعض شخوص قديمة ~~وال~~ كن اسوء حظي
وجدت رجلا مهابا وهو حضرة الضابط الجليل المسمى
قوينغام معاون الحكمدار وكان قد أخبره الحكمدار بأنه
سيحضر عنده عن قريب ووصاه بان يجمع له عدة شخوص
فاخذت صورة النقوش القديمة التي لم يسبقني أحد بأخذها
وصورة نقش كان على مسجد وصورة النقش الذي كان على
شاطئ النهر وصورة بعض حروف كانت منقوشة في جدار
خائط منزل

وقد أحضر لى أشهر علماء مدينة كشمير في المعارف
فرايته لا يكاد يقرأ بل لا يفهم كلمة مما يقرأه وهو وابنه على حد
سوا في ذلك فقد اسمعني ولده بعض اشعار من ديوان
شيسو بالاواده بصوت مضطرب وحدثني بتاريخ هذه
البلدة الذي كان قد اعطاه للسياح ~~مور~~ روفت
قائلا لي انه لا يوجد الان غيره في مدينة كشمير من التواريخ
المتعلقة بها وهذا التاريخ هو المعروف بتاريخ رجاتر نيجيني
وطليت منه دفترا من ~~ال~~ كتب فأجاني بأنه لا يوجد منها
الا ن شي في تلك البلدة وذلك لان علماء ملك مدينة لاهور

قد نهبوا عند فتح كشمير وكان اعظم عالم من علماء الملك
قد أخبرني بأنني لا اجد كتباً في مدينة كشمير ولكنه لم يفصح لي
عن سبب تعذر وجودها في هذه المدينة

والقبول الذي شاهدته في مدينة كشمير لم يمكث زمناً
طويلاً وذلك لما أن اجازتي ملك لاهور ووزيره الصدر
الاعظم لم يساعداني بالكلية على جعل مقاصدي وقد
وصفت لي بعض اما كن يرغب في الاطلاع عليها ولكن
لم يمكنني التوسع في داخل الوادي فضلاً عن أن اصل الى
تلك الاماكن ولزمني أن انزل في المحطات المعينة لي في الاجازة
مع التدقيق الكلي ولتغيير تلك المطابق المعينة لي في صورة
التوصية لزمني أن اعرض للحاكم في هذا الشأن وهو
لم يجابني الا بعد يومين او ثلاثة وعين لي طريقاً اخرى
احدثت لي مشاقاً آخر

وبالجملة فكانت صورة اجازة الملك مشقة على الاحترام
والادب الكلي في حق ومكتوبة بأبلغ عبارة فارسية وكنت
دائماً بين هؤلاء الملل كبحر المعارف المحط المتلاطم الذي
لا يعرف له ساحل وكنت أغخم علماء كشمير واكسف
شمس علومهم ولم اتكلف لذلك شيئاً حتى اني كنت بينهم
كأفلاطون عصرى وارسطاطليس او اني وسقراط زمانى

ولسان الفارسي هو المستعمل عندهم في المكاتبات
وهو لسان الادب والتمدن بين رجال الدواوين الهندية
ويعتاز عن غيره لـ كونه محدودا ولا يتغير دائما كلسان
الهندستان الا أن الفارسي غير مفهوم عند العامة من
الهنود

(الباب السابع)

فيما يتعلق بسياحتي في داخل وادي كشمير وبمدينة بنبر
وبالبركة الموجودة بقرها وبهيكلا الهندى وبحدود غيطانها
وأثارها ونقوشها القديمة وبمدينتي بيدجيار واسلام اباد
والآثار القديمة التي توجد فوق سفح جبلها وبمدينة موقون
ومغاراتها وبمدينة ورناغ وبالجحجحتكون من النار
والتلج وبمعادن ذلك الوادي وثعابينه ودبابه وسباعه ونمورته
الكثيرة الوجود في كشمير وتخطيطات السياحين
الاول لهذا الوادي وخبر موت الملك رانجيت سنغ
وبالنساء السيخية والهندية اللاتي يلقين بأنفسهن في النار
عند احراق ازواجهن وسياحتي في الغرب من هذا الوادي
والهياكل القديمة وبمدينة بارموله وخط كامراج
وقنة جبل بالارامة وورشة الشيلان الكشميرية
ومحصولات وادي كشمير وعظمة نتائج وفقر سكانه ورغبة

السياح فيما فيه من الآثار وآداب اللغة القديمة وآداب
الهنود

ومدينة بنبور على البعد من مدينة كشمير بفرسخين حال
الصعود فوق نهر جالو جهة منبعه وقبل الوصول إليها
تجد بركة في وسطها هيكل ولاجل أن أخذ صورة هذا الهيكل
ركبت زورقا رديئا فانغمس بي في الماء فاحتملني الملاحون
على ظهورهم لكي ارجع ثانيا الى الشاطئ فكنت اراود
نفسى حالة الرجوع اليه ان اركب زورقا احسن من هذا فلم
يتيسر لي ذلك فاقصرت على تصوير الهيكل من بعد أما
شكل بنائه فهو مخالف لشكل هياكل الجهات الاخر من
بلاد الهند فان سطوحه مائلة جدا مع ان سطوح بيوت
مدينة كشمير تكاد أن تكون مستوية وهذا الانحراف
ضروري بالنسبة لبلدة كثيرة الثلوج وفي سفح الجبل المجاور
للهيكل بقايا مدينة كبيرة من المدن القديمة واشجار جسيمة
من اشجار السنجاس ولا يوجد هنالك الا ن شئ من
العيون المائية ولا يخلو الامر من أحد شئين اما أن تكون
عيونها غارت وانقطعت بالكلية او تحولت مجاريها من جهة
الى اخرى منذ مدة وبالقرب من تلك البركة اعمدة وهى بقايا
مسجد قد عفي منذ مدة طويلة وقد شيد المسلمون مع التنظيم

مسجد اقرب الهياكل الهندية وهذه الآثار مملوءة بالثعابين
فكنت اشاهد من سائر الجهات الافاعي مولىة تنجوا بنفسها
وتدخل في اوكارها وشاهدت في مدينة بنبور ثعبانا عظيم
الجم على حائط وكانت تدور حوله العصفير على شكل دائرة
فكانها مغرورة به ~~ك~~ كغرور القراش بالنار فقتله جماعة
بعكازة ثم قبضوا عليه من ذيله وصاروا يحركونه تحريكا
عنيفا حتى تقايا من جوفه عصفورين كان قد ابتلعهما
وقد رحلت من مدينة بنبور الى مدينة وانتيبورا
ويتوصل اليها بواسطة غدران تزداد ماؤها في السنة القابلة
اعظم من زيادة العام الماضي ويصادف الانسان عدّة عيون
ذات مياه كبريتية وفي الغيطان حدود مرسوم عليها صور
ويوجد منها عدة حدود منصوبة بجوار بعضها وعلى فرض
انها كانت متخذة سابقا لبيان حدود الاملاك الخصوصية
المتوارثة فليست الآن لهذا الغرض ويقرب مدينة
وانتيبورا اطلال مدينة عظيمة من المدن القديمة ولا يوجد
فيها الاّ شيء من العيون بل ولا اثر ماء اصلا وقد صعدت
الى محل فيه شجرتان من اشجار التوت ولم يصعد معي
أحد البتة فأقبل الى عمال قليل خفيان في غاية من الخوف
والانزعاج بسبب دب ~~ك~~ كان قد خرج من موضعه وبقيت

آثاره ويوجد في سفح اطلال تلك المدينة القديمة اطلال
هيكلين هنديين أحدهما لم يزل محفوظا الى الآن وعليه
نقوش نقص بعضها وانجى بالكلية

وقد شيد المسلمون بجوار هذين الهيكلين مسجدين ومتى سار
الانسان جهة الشمال وجد بجذاء الجبال في وسط الساحل
يقرب عين ماء مظلة بشجرة دلب قديمة نقشها سانسكرتيا
واذا ارتقى بالمجاهدة والمكابدة فوق ذلك الجبل الشاخص المرتفع
على شكل قنة وجد على سفحه صنما عظيما فاذا نزل بعد ذلك
بواسطة السلم المنحوت فيه رأى كهوفا فيها صور رجال
وثعابين وكان قد وصف لي هذا المكان رجل هرم من علماء
البنديقية هذا ولم يبق عندهم رواية تدل على هذا المكان

وفي مدينة بيدجيار نقش قدره سطران على مسجد
وقد صار الان في أسوأ حال من تقادم الزمن وتوالى الايام
عليه فيتعسر على الانسان قراءة بعض حروفه ولا يفهمه
الاعم المسفة والتعب

ويوجد بقرب ذلك المسجد مسجد آخر مبني في بركة بجوارها
كهوف عميقة منحوتة في الصخر وبابها مغلق فيفتحها
درويش مسلم هو كل بها وحيز دخلتها صرت أضرب
الخفاش بعصاى وكانت تملأ القباب فتعترضت العساكر

السحينة لتنعني من ضررها ولو كانت هذه الاساءة حاصلة متى
في حق انسان لما أظهر وامن أجله الرفافة مثل ما بدوه في حق
هذا الخفاش

وأجل المدن بعد مدينة كشمير مدينة اسلام آباد ويصنع
فيها كثير من الشيلان الكشميرية ويعتنون زيادة بالابسطة
المسماة باتو وهي نوع من القماش النخين تتخذ منه أهل
تلك المدينة ثيابهم ويبنونهم مبنية بالخشب فوق قواعد من الحجر
والاجروسطوحها مغطاة بالطين والنباتات والازهار و يرويهما
عدة منابيع منها اثنان كبيرتيان وكذلك يرويهما نهر جالوم
المشيد عليه قنطرة من خشب وكل من هذه المدينة وأهلها
ذو وساخة كريمة

وجميع الوادي من كشمير الى مدينة اسلام آباد فاخر نفيس
جدا ومهوله مملوءة بالغابات والتلال الجبلية ومروى
بالعيون المائية القوية التي ينسمر منها الطرف بعد ملاله من
رؤية بلاد الهند العالية الغير المتنوعة فلذا أصاب من وصف
مدينة كشمير بكونها جنة بلاد الهند ولا يخفى ما في شغف
الهنود ولغظهم الحاصل في شأن هذا الوادي اللطيف ومع
ما قيل فيه من المدح والوصاف الحميدة لا يفوق شيئا من
اقاليم مملكة فرانسا الطريفة

وبالبعء

وبالبعء بفرسخين من مدينة اسلام آباد تجدد على سفح
مرتفع آثارا فاخرة مشحونة بتصاوير على صورة المنورة
والجبال التي حولها منعطفة عليها على شكل دائرة مركزها
تلك الآثار وكلما سألت أهلها عنها يقولون انها آثار كان قد
شيد بها جماعة الكوروسية والباندوسية وهما اسماء عائلتين
من القدماء قد ذكرا في قصائد جاسية منظومة باللسان
السانسكريتيكي فاستأصلت احجارها ففتشوا واحد بعد واحد
مع امعان المنظر فلم أجد عليها شيئا من النقوش وهذا الاثر
موضوع في حوش مربع وأبوابه فاخرة ومملوءة بالتصاوير
وحيطانه مبنية بالاحجار المنحوتة الكبيرة والقاعة الوسطى
التي في داخل ذلك الحوش صغيرة جدا بحيث لا يتوهم انها
كانت معدة للملاقة الناس وكذا جميع هياكل كشمير بهذه
المثابة ويوجد زيادة على ذلك ثلاثة هياكل مشيدة في وسط
بحيرة وهذا هو السبب الباعث على عدم دخول عامة الناس
فيها بكثرة وهذه الهياكل تشتمل على اصنام بمقتضى روايات
محفوظة عندهم

واذا هبط الانسان جهة الشمال الشرقي وجد مدينة
موتون وفيها بركة مقدسة محفوظة بمساكن ناعمها
الدرابيش ويحفظ فيها كتاب الديانة المسمى غرانت واسماء

هذه البركة مقدسة ايضا ومما يعد عندهم من عمل الخير
الموجب للثواب **ك**ون الانسان يرى لها بعض اشياء
تغذى بها وعلى البعد من تلك البركة بمسافة تجد مغارات
محفورة في الصخرة يدخل فيها الانسان بواسطة ابواب
منحوتة على شكل مثلث ويوجد في داخلها اشجار تسمى
لانغا وهناك مغارات اخر لا يدخلها أحد الآن ويقال
انها متسعة جدا وكثير من العيون المائية تسيل وتجتمع
في محل يقال له چالوم فعما قليل يصير نهر اصغرا تجري
فيه السفن

وفي مدينة ورنانج بقايا قصر كان قد شيده ملك يقال له
جيهانغير ولم تبق منه الا قبة وسط حياض متكونة من
انصباب مياه كثيرة فيها وفي وسط هذه الاتنار صنم على صورة
امرأة تسمى غانسه وقد وجدت في طريق صنمها على صورة
الساخرة المستماة برواتي

ويوجد في هذه الجهة من الوادي كثير من البرك الصغيرة
المتكونة في عدة عيون ويعتبر كل من المسلمين والهنود
تقدسها ويربون فيها السمك معتقدين أنه عيال الله فقلت
لهم اننا جميعا عيال الله ولم يمكن أن انال الافصاح منهم عن
العبادة التي تخص هذا السمك الذي يعمر تلك العيون

ويعدون

ويعتدون من الغريب عندهم كون حجر من النار وحجر من الثلج
 أما حجر النار فهو قطعة عظيمة من الصوان المسمى سيلكس
 وأما حجر الثلج فهو في مغارة مظلمة يوجد فيها ماء مثلج يبلغ عمقه
 نصف الساق ولا يرى فيها شيء آخر البتة وعلى فرض أن ذلك
 الحجر الثلجي موجود فيه مكن أن يكون ثلجا منجمد ترتفع
 رأسه في تلك المغارة وأن مزاج هوائها لم يصل الى درجة بحيث
 تذيب الثلج المنجمد

وفي تلك الجبال كثير من نبات الهليون والتوت
 الافرنجي (المسمى بالدليك) وهما صنفان من الخرفواكه
 يجفلهما سكان ذلك الوادي

وقد شاهدت في طريق معدنين من الحديد كانوا يستخرجان
 من الارض ولكن اذا اراد الانسان الدخول في موضع هذين
 المعدنين لا يمكنه الوصول الاحبوا ولا يوجد في ذلك الوادي
 ابنية ولا مجازات ارضية وفيه المعادن بكثرة فترى الرجال
 الذين يستخرجونها بمجرد ما طالت عليهم الاشغال في حفر
 مسافة للاستخراج تركوها واخذوا في استخراج
 غيرها

وفي جوانب تلك الجبال محال عظيمة الشهرة من جملة ما موضع
 يعملون فيه مناسك جهم فيهرع اليه كثير من الدراويش

في شهر اب ولا بد للانسان من ان يمشى فوق الثلج عدة ايام
وكنت قد اخبرت بالاخطار والمشاق الموجودة في تلك الطريق
فلما رأوني مضراً على ذلك آل امرهم الى ان امتنعوا من أن
يأذنوا لي بالسفر فيها ولم ازل في جميع هذه الطريق كالسجود
حيث كنت مجبوراً على ان اقصر اسفاري على مشاهدة
الاماكن التي وصفوها لي بوجه مخصوص ولم يكن احد معي
من اهل تلك البلاد وذلك ان جميع الرجال الذين صاحبوا
غيري من السياحين ورأوا انهم لم يكسبوا منهم شيئاً
اعتذروا عن ان يصاحبوني ومتى لم يكن مع السياح رجل
معتبر من اهلها تعذر عليه ان يقف على شئ من اخبارها
حتى انه كان لا يمكنني ان اعرف اسماء القرى وايضا فكانوا
يتجسسون على كلامي وافعالهم ولو قليلة جداً ويخبرون بها
حاكم تلك البلدة الذي يرسل الاخبار الجارية الى مدينة
لاهور وكان يسلك فيها مسلك منشي الوقائع حيث كان
يكذب في الاجل ان يرغب من يطلع عليها فقد انتهزت فرصة
لتحقيق كذبه من اناس اتوا ليصاحبوني

ثم اتى رجعت الى كشمير بجانب الجبال الشمالية ومتى
غشي الليل انتشرت الدباب والسباع في السهول فلابد من
ان توقد نيران حول الخيام والخيول لطردها فاتفق ذات يوم

الثا وجدنا بقرة قد افترسها ثم على البعد من خيمتنا بقدر
خمين قدما

وقد اطنبت في الكلام على الثعابين والوحوش الضارية
لغرض خصوصي وهو أن السياحين الذين ساحوا قبلي
في هذه البلاد انكروا وجودها بالكلية لتلاشوقها
حقيقة فتخطيطات ذلك الوادي الظريف العجيب الشهرة
والا فالثعابين التي توجد فيها كثيرة وخطرة جدا واخبرني
الشاء صاحب الذي هو محب لاهل اورپا ان لدغتها تقضي
الى الموت بعد مضي بعض ساعات وسألني عن دواء يعمل
لمنع تأثير سمها واما السباع والثمورة والذباب فتدخل في داخل
القرى وتفترس ما تجده من المواشي وفي مدينة كشمير
مضرة اخرى عظيمة وهي وجود الدويدات الناشئة عن
وساخة سكانها فانها تدبوا في سائر الاماكن ويوجد خصوصا
بقرب الجبال نوع من الذباب الصغير ينكب منه مقدار
لا يحصى على الناس والخيول ولا تدع لاحد راحة منها
والقدران الصغيرة يكثر فيها الدود المسمى بالعلق ومنها نوع
يسمى كني ان يعد من الهوام السمية ويتأذى الانسان ايضا
بالناموس الهندي الذي لا يطاق طينه ولا لذه وفي الغيطان
وعلى الاشجار ايضا كثير من الوزغ السمي وهذه البلاد

رديشية الهواء جدًا في البلاد الواطية منها يكون الانسان
عرضة للحمى الدائمة حتى انى بل وجميع الرجال الذين كانوا
معى لم ينبج احد منها وكذلك يكون الانسان عرضة لان يصاب
بانواع الرمد الناشئ عن كثرة مياه البركة المنتقعة فقد صرت
فيها مدة خمسة عشر يوما عمى لا ابصر شيئا من جميع الجهات
فلا يخفى عليك كما اسلفته ان ذلك الوادى ليس بالحكمة عين
الجنة التى ذكرها الخواجه برنہ وزعم انه لا يجرى فيها
الأمنار من لبن وعسل ولكنه قد أقام زمرنا طويلا في مدينة
دلى (ويقال لها دلهي) التى هي في واد حار يابس ولا شيء
ابهج للطرق من منظر وادى كشمير على العموم ومن منظر
جبالها الشامخة المغطاة بالثلج وتلالها المخضلة بالأحجام
وفلواتها المروية بالغدران الصافية المياه والمغطاة بالخضراوات
والازهار الجميلة

ولما رجعت الى كشمير اخبرت بوفاة الملك رانجيت منغ وان
عشر نساء قد احرقن أنفسهن معه وذلك لأن النساء السيخية
قد تعودن على هذه العادة الهندية التى هي ناشئة عن الحمية
الدينية وتحمدا نارها بتداول الزمن وبرهان ذلك ان الانكليز
قد نجحوا في ابطالها في جميع البلاد التى انقادت لهم وبمقتضى
الشرائع الهندية ان المرأة اذا تزوجت بعد فقد بعلمها تكون

مدنسة العرض فيحكم عليها على التأييد ان تقضى مابقى
من عمرها في العزلة والنفي

والسبب الباعث لكون النساء يلقين بأنفسهن في النار هو انه
امالهن كونهن يصرن مدنسات العرض ويقضين زمنهن
بهذه المثابة اذا تزوجن اولما يتحققن من السعادة الاخرية
اولشدة تعلقهن بالفقود فعند ذلك يتجملن باجل الثياب
ويتجلين بما يملكنه من الخلق الذي هو كسب للقسس
وفهم يبادي الرأي ان تحسين القسس هذه الفعلة القبيحة
وتشجيعهم لهن انما هو لاجل عودها بالمنفعة عليهم ولما مات
فونيها لسنغ الذي هو حفيد رانجيت سنغ حضر
الانكلز وخلصوا امرأة ونجوها من الاحراق

وبعد ان مكثت عدة ايام بالمدينة كالمسجون سافرت ثانيا
لاطلع على الجهة الغربية من الوادي فوجدت فيها عدة
هاكل هندية متفاوتة في الحفظ وكلها على الاطلاق مبنية
على هيئة بنيان مدينة بنپور ومنها هيكل في جزيرة صغيرة
وسط بحيرة يحيط به كثير من الاجار على شكل جسر
وعندهم آثار قديمة تدل على انه كان سابقا في محل
هذا الهيكل مدينة عظيمة ومحيط هذه البحيرة يبلغ عدة
فراخ وكل من سافر فيها يكون عرضة لهبوب القرطونات

وعلى شواطئها من جهة الشمال جبل يخرج منه في اوقات
اصوات كاصوات المدافع وتزعم الالهة انها تسبحها
في جوف الاراضي متى اقتضت القدرة الالهية تغيير الحاسم
قد سمعوها قبل موت الملك رانجيت سنغ بعدة ايام
وقد سمعوها ايضا مرة ثانية وقت انتصار الانكليز في مملكة
افغانستان عندما كانت الناس تلفظ بان الانكليز يريدون
الاستيلاء على اقليم پنجاب فحصل بعد ذلك بمدة قليلة
موت الامير غوراق سنغ ابن الملك رانجيت سنغ
وخلفته فعند تصادف هذين الامرين من الغرب ومياه
تلك البحيرة لطيفة جدا حيث لم يشم منهار رائحة الطين المنتنة
التي تشم من بحيرة كشمير وعلى شاطئها نبات يسمى سافغراء
وهو نوع من جوز الماء يتقوت به فقراء الالهة ويدخل على
الخزينة منه مبالغ جسيمة من الروبيات (تبلغ ٢٥٠٠٠٠
فرنك)

وفي مدينة بوطون هيكلان آخران بجوار بعضهما
وهيكل آخر في مدينة ثيغور داخل حصن بل هو الحصن
نفسه

وبالجمل فيوجد هيكل آخر بقرب مدينة برموله على
شواطئ نهر جالوم في واد ضيق وسط جبل ذي قننه

وملآن بخصور بهلوهها غابة من اشجار الراتنج وايس
في هذا الهيكل شئ البتة من التصاوير وبحسب الحدث
والتخمين ان احترام المسلمين له انما هو لتجرده عن التصاوير
والآن تطله بأغصانها اشجار صغيرة وقد اخبرني رجل هرم
من العلماء انه كان يعرف سابقا في الجبال المجاورة لتلك البقاع
هيكلا وتقوشا قديمة غير أنه لم يذهب اليه احد من مدة طويلة
وانه لا يمكنه ان يهتدى الى الطريق الموصلة له وقد وصف لي
بوجه عام نقشين كانا بقربهما فوجدتهما في وسط غيط أرز
بعد طول البحث والتفتيش ويجوارهما سبع عيون صغيرة
ويسمى محلها ساتريشي وقرب فوتيغور كثير من
حدود الارض مرسوم عليها صور ويفصل خطها جبال
مظلة بالاشجار وينحصر في واديه اودية صغيرة ويوجد
فيها بقايا مدينة عظيمة جدا وصور آلهة هندية لاسيما صورة
آلهة الحرب فقيمها حجر ضخم منتصب على صورة الهمم المسمى
تجا طور موغا

ويتصرف نهر جالوم بقرب مدينة برموله من محل
ضيق جدا فيجري مع القرقة فوق الصخور الجسيمة ويقتلع
منها طعاما من شدته ويوجد في نواحي برموله بنجاويف
الجبال كتيان رمل

وبين مدينتي كشمير وبرموله مدينة تسمى صوبور
وفيه حصن مبني على طرف قطرة من خشب وقد منعت
خفي الحصن من الدخول فيه بأمر من حاكمه فشاءت من
تلك الاساءة ولكن عما قليل عرض لي ما يزيل الهم والترح
ويجلب السرور والفرح وهو أن حاكم كشمير ارسل الي كتابا
محبوبا للنفس وفيه يأذن لي بالاطلاع على خط كامراج
والاولى ان يقال انه حصن مشهور في هذا الوادي جلس فيه
الملك رامة للاستراحة بعد فتح جزيرة لانكا (اى جزيرة
سيلان) وكانت المنية في هذه الاجازة لجناب الجنرال
واتوره حيث كنت في فكرته دائما فكتب للحاكم في شأن
ذلك ومع هذا فانه لا يبعد عليه ان يكتب لي قبل ذلك بمدة
وخط كامراج كثير الاشجار ورويه تير يسمى باسمه ويضل
الانسان به لما فيه من التلال الجبلية والودية الصغيرة
الشبيهة بالتيه ويتغير فيه مراح القطر في كل وقت حتى انه
في مرحلة واحدة نزل على المطر الحار ثم الثلج المذاب وقد
نزلت في شهر آب بأرض مغطاة بالثلج فوجدت على البعدها
بمسافة قليلة مزارع الارز وشاهدت اجتناء كروم العنب
بعد نضجه ووجدت في مسيرى انسانا كان معلقا في شجرة
غير أن الدباب حلتها ولم تبقى غير الخيط معلقا في تلك الشجرة

وابقت لى هذا المنظر البشع وبعد مضى خمسة ايام وصلت الى
محل الحج ويوجد فيها حجارة ضخمة فى سفح الجبل منظومة
الوضع يفهم من انتظامها انها عمارة متقونة الصنعة وهى
مسكن الملك رامة وبجوارها مسكن الثعابين المتخذ من
الاحجار الغير المحوثة وبعد هذا المسكن بقليل محل بقرب
حوض متكون من عين ماء ويقال ان هذا المحل كان مسكن
الملكة سينا (زوجة الملك رامة) وخفيها المسمى لاكشمانه
وهذه الآثار مظلمة بالاشجار ابى فروع والرائج ولم يزل ثم
عصفور يحوم حولى فكأنه يذكرنى تاريخ مصابب الملكة
سينا واذا صعد الانسان قليلا جهة اليمين فى الغابة وجد
مسكن قرد يسمى انومان بقرب عين وارضة عارية عن
النباتات ولا يشاهد بها الا صورة هذا القرد الشهير ومسكن
بالارامة على قنة جبل شاخ يصعد اليه بطريق منحدره
وذلك أن هذا الجبل بعد أن يصعد الانسان عليه قدر مسافة
معلومة يجده كله على شكل قنة فارقت على ذلك الجبل
متسكبا بالدغالات والدويحات فوجدت هذا مجرد صخرة
يقال انها كانت سابقا ذهباً فهذه الصخرة الحقيمة لا تستحق
هذا التعب الذى كلفت به نفسى فى الصعود اليها غير أنه جبر
خاطرى منظر بهيج جداً قد لاح لنا ظرى وذلك أن الانسان

مضى صعد فوق تلك العذرة رأى من إحدى جهاتها جميع
وادي كشمير ومن جهة أخرى جبالا تمتد امتدادا بعيدا
يعلو فوقها ذروة من الثلج يقال لها ايماليا وبالقرب من تلك
الجبال عيون تسمى كريشنا كانغا

وقد مكثت هذه البلاد زمنا طويلا منقادا لحكم الملك
زانجيت سنغ ولم يفكر اهلها في الخروج عن طاعته بعد
موته وكنت اتعجب من اهل تلك الجبال حيث كانوا يثبون من
ضخرة الى اخرى مع ما كانوا يلبسونه من الثياب السابعة
ففي الطرق الصعبة المسلك كانوا يحملوني معهم حال
المرور

وهناك انتهت اسفاري في ذلك الوادي ولم انظر الا نصفه
وقد منعتني العوائق التي لازمتني في اسفاري بهذا الوادي
عن أن ارسوم خريطة وادي كشمير وكان يمكنني ان أخذ
صورتهامدة الاشهر الاربعة التي اقتها فيها واطن ان اخباري
بقصد رسم خريطها كان هو المانع من رسمها فان حاكم لاهور
يرغب في ابطال رسم جميع التخطيطات التي تبين منافع ذلك
الوادي لانه كان يخشى من ان يرتب عليه جزية جسيمة
اكثر من التي يدفعها وكذا حاكم كل خط بهذه المشابة يود
تعطيل تخطيط واديه بالنظر لما فوقه من الحكماء فبناء على ذلك

لم استفد كل ما يتعلق بالصنائع وانما يصنع في مدينة كشمير
الطف ورق يشتغلونه في جميع بلاد الهند وهو نوع من
الورق المصقول الجميل جدا ولم يؤذن لي في الاطلاع على
ورشته بل اذن لي بالاطلاع على معامل الشيلان * والماهرون
من صناعاتها يكتبون كل يوم اثنين او ثلاثة من النقود المسماة
اناس اعنى ستة صلدات تقرىبا وتدفع لهم اصناف
بقدرها بدلا عن ماؤهم تحت تصرف حاكم الوادي دون غيره
والرسوم والتصاوير الغريبة التي تشاهد في الشيلان الكشميرية
منقوشة بمجرد الفكر فقد شاهدت اشهر رجل عندهم في نقش
الشيلان يسمى محمود جو يرسم عليها التصاوير اما هي
فكان يرسمها بسهولة حتى اني لم ار الاجران قلم الرسم على
الشال فلا شيء من ازهار وادي كشمير ونباتاته الا وهو
مرسوم في تلك التصاوير ومع ذلك فمجزهم عن ان يصفوا شيئا
من الطبيعيات ايا ما كان يمنع من ان ينظر فيهم تصوير شيء على
ما هو عليه واما الشيلان المنسوجة لاحتياج الاهالي
فيسمون فيها اشجارا وطيورا وحيوانات وهي على العموم
غير متقنة الصناعة وغير متميزة بالكلية واذا قابلت صور
الابسطة المفروسة في القصور القديمة بصور هذه الشيلان
الحديثة رأيت الصور القديمة من غرائب الصناعة التي ينسج

على منوالها ولا تكن للهنود فريضة غريبة في تنويع رسم
الخطوط ولهم دقة وذوق سليم في شغل الادوات من الاخشاب
واما الاخبار التي بلغتني في شأن تجارة الشيلان الكشميرية
فهي مناقضة حتى انه لا يمكن ان اصدق في شيء منها البتة
فيجب على الانسان دائما ان لا يثق بجميع الاخبار التي
يحكيها له اهل كشمير فانهم اكثر خلق الله كذبا حتى انهم
من غير خشية يعضدون اثبات امور يمكن ان يثبت الانسان
كذبها عيانا ويبيع الشالان من اطراف الشيلان الطويلة
في مدينة كشمير بثلاثة آلاف فرنك ولا يتبع دفع هذا الثمن
من ان يبحر له عليه وقت اخراجه من تلك المدينة بل وفي محال
اخر حتى يصل الى اوربا ومن البديهي أن التجار لا يدفعون
فيها هذا المقدار الجسيم ويوجد في مخزن مدينة امرتسير
شيلان احسن واظرف من شيلان كشمير نفسها

وارض مدينة كشمير خصبة جدا ويوجد في وهداتها بقعة
عميقة يبلغ قدرها خمسين اوستين قد ماتت مكونة من طين اسود
وارض الوادي تزرع كل سنة مرتين الاولى تزرع قمحا في شهر
يولييه والثانية تزرع أرزا في شهر اكتوبر وقد لا ينتج زرع
الارز في بعض الاجيال بسبب البرد الذي يصيبه قبل بدو
صلاحه وكل غيبط من الغيطان المزروعة يزويه عين ماء حتى

ان الاراضي التي لم تنسق ولو كانت عظيمة الخصوبة لا يزرع
 فيها شئ وتنت فيها جميع الاشجار المثمرة الموجودة في أوروبا
 ما عدا شجرة الزيتون واما عنها فظريف جدا لاسيما النوع
 الخالي عن البزر ويستخرجون منه النبيذ واما النبيذ الذي
 اهدا في به الحماكم وشربت من جنسه في ديوان صغير من
 الدواوين الهندية فطعمه كطعم النبيذ المكثر للدم في مجاري
 البدن وهو ككثير التحذير ويحب شربه الاقوام السيخية
 حباً شديداً حتى ان حاكم الوادي يصير بعض الاوقات عدة ايام
 متواليه سكران من كثرة شربه واما العنب والجوز اللذان
 يستخرج منهما الزيت فيحتكرهما الحماكم لنفسه وكل من اراد
 ان يأخذ شياً من ذلك الزيت فليعرض له في شأنه وفيها
 مقدار كثير من اشجار الجوز والجواج والصفصاف
 وبعض اشجار من الداردار وشجرة الدلب المسمي شونار
 خارقة للعادة في الكبر والغلظ ولا يوجد فيها اشجار البلوط
 والزان فخلبهما الى هذه البلاد يعمد من جملة الهدايا وقد
 احدث فيها الحماكم المسمي شاه صاحب زراعة البطاطس
 في بساتينه ولما كان اهل تلك البلاد لم تلتذ بأكله وبعثون
 القنب والشوفان من البساتين البحرية ولا يزرع الكنان
 الا قصد تحصيل برزهم لما انهم يستخرجون منه زيتاً

ووادى كشمير هو فردوس الهند يستبان غير أنه ليس كذلك
بالنظر الى سكانه الفقراء الذين يعمرونه فان اللسان يهصر عن
ان يعبر عن حالتي الفقر والظلم اللذين يستوليان على الفلاحين
وارباب الصنائع هناك فلذا تجد كثيرا من الشحاذين يتكئون
من تحصيل قوتهم الضروري بسؤال الصدقة اكثر من
ان يكسبوه من الاشتغال بحرفهم وصنائعهم
التي يعرفونها وكانت تلك البلاد حينئذ خالية من اهلها
بسبب القحط الشديد الواقع فيها من نهب ملك لاهور
المسمى شيرسافغ المستولى عليها الآن وقد فر معظم اهلها
الى ارض لوديانه ثم انه هجر على اهل مدينة كشمير حين كنت
فيها من أن يرحلوا عنها الى اماكن اخر وكل من ابي يعاقب
عقبا شديدا

ويكثر في هذا الوادى البرك المتتعة المياه حتى ان الانسان
يكون عرضة في السهول لأن يصاب بانواع الحمى والرمم
المستقرين وان سكانها عرضة لأن يصابوا بالغدد الكبيرة
المعروفة بالسلع ومن الهنود طائفة صوره وجوهها كوجوه
اليهود وهي وان كانت مستحسنة بالجمال واللطف الا ان صور
كثير منهم تصير غير مستحسنة بسبب ما يعلوها من البلادة
والحماقة وفيهم طائفة اخرى ذات وجوه قصيرة الا أن سميتهم

تدل على النباهة وزكاء المفهومية وفيهم اناس زرق العيون
وشعورهم تميل الى الشقرة ومن العجائب ان فيهم اناسا على
صورة الزنادقة يظهرون خلاف ما يظنون من الدين واناسا
مفقودة جميع حواسها من جبال البرنات (بشمال
اسبانيا)

وتخطيط وادى كثير جليل الفائدة بالنظر للعلوم الطبيعية
ومهم ايضا بالنظر لمن يريد تهليم آداب الهنود اللغوية
ومعرفة الآثار القديمة حيث يوجد في جميع الاماكن
عمارات قديمة وآثار وبهايا الهندود واماكن الحج المنسوبة
للأحقاب الخالية ويوجد فيها نقوش وشخوص قديمة
ويوجد فيها ايضا من غير شك نقوش على ألواح من النحاس
وسألت اناسا من الهنود عن شيء منها فاستبان منهم التعجب
والخيرة من سؤالى حتى فهمت من حالهم انه لا مانع من أنه
يوجد عندهم شيء منها فأجابوني بأنه كان عندهم منها اشياء
سابقا ولكن قد اخذتها طائفة البابان ورموها في نهر
جالوم ولم يبق كنى ان اظفر بحقيقة ذلك لما يظهر منهم
ان كتمانهم عني من التدقيق في الدين وبحسب الظن اذا سألهم
الانسان بدون واسطة عن شخوص نفيسة من الذهب
او الفضة لا يعطون شيئا منها خشية ان تنقص عليهم الحكومة

حيث يخطر ببالها انهم يمتدكون اموالهم من جنسها ولكن فيه
بعض اناس منهم الا ان يعرف ان الافرنج يرغبون في تلك
الشخوص والاحجار والنقوش القديمة فيجشون من غير شك
عن تحصيل شئ منها ليستميلوا به السياحين وليكونوا مقبولين
عندهم

وبالجملة فكان على رسم خرطة وادي كشمير لانها من الاشياء
النافعة لا بالنظر للجغرافيا فقط بل لتاريخ الهند ايضا حيث
انها تقع لتوضيح بعض امور يشك فيها
واما اللغة التي يتكلم بها اهل مدينة كشمير فتكاد ان تكون
عين اللغة الهندية القديمة وكنت افهم معنى الكلمات المفردة
بمطالعتي لشيء من كتب تلك اللغة وعندهم كتب شتى ليست
من غير شك الاتراجم كتب قديمة ولكن اذا اراد الانسان
ان يستأجر مدرسا لتعليم هذا اللسان وان يحصل كتبها
يشترها وان يجازيهم على سائر خدمتهم له ولو قليلة فلا بد له
من مبالغ جسيمة من الدراهم ويلزم له ايضا اشياء متنوعة
يهاديهما فان من عادتهم الاختلاط مع القير بواسطة
الهدايا وحيث كنت غاريا بالكلية عما يصلح لان يهدي به اليهم
فلم يمكنني ان اسأل احدا منهم قضاء حاجة ما ولو صغيرة وكانت
ارباب حكومة مدينة لاهور قد اعانت امانة كلية السياح

جا كوت

جاكوت والسياحين الاخر الذين ساخوا بهده في بلاد
الهند واما انافه كذلك نلت منهم اسعافات ومساعدات
كثيرة لولاها لم يتيسر لي الاقامة ولا المعيشة بمدينة كشمير
ولا بأس أن اذكر لك ثانيا سبب ما اوقعني في ورطة هذه النقلة
الى هذا الوادي وذلك اني لما وثقت من سوء حظي بأقارب
السياحين الاقدمين وبمحكمة أحدهم وهو راجع من مدينة
كشمير الى مدينة لاهور وبالمواعيد المزخرفة الكاذبة التي
وعدني بها شخص محترم جدا ممن يسكنون مدينة كشمير
اهملت في أخذ الادوات الضرورية والاحتياطات المعاشية
اللازمة لان تمام تلك السياحة التي شرعت فيها

ولندكر لك انه لا خطر على السياح في جميع بلاد الهند وذلك
أنه متى قوبل بالاحترام الجزيل والاكرام الجليل من قبل
ارباب حكومتها كان دائما في غاية الامان ويحسنون معاملته
مع الاكرام فان اهل تلك البلاد الشرقية في غاية من الادب
والبشاشة وقد زعم بعض الافرنج أن الادب وحسن الخلق
ناشئتان عن تسلط النساء على افئدة اهل جمعياتهم التأنسية
وان اعظم الملل ادبا انما هي الملة التي يغلب عليها ذلك التسلط
والنساء الشرقية لا يخرجن من بيوتهن وليس لهن نقاد كلمة
على الرجال ومع ذلك يحجز الوصف عن ما عند اهل الرتبة

العلياء منهم من اللطف في افعالهم والنظر في مجانساتهم
 فيبدون بالترحيب كثيرا عند الملاقاة ويعتنون زيادة باستماع
 المتكلم وباجابته بالفاظ عذبة فلا يتكلمون ابدابشي من
 عبارات الحق والافعال ولا من العبارات الدالة على
 الخشونة وسوء الخلق

وانما يجب على الانسان ان يحترس من الوثوق بالفاظهم
 العذبة ومواعيدهم المزخرفة وان لا يثق ايضا بالفاظ
 ومواعيد الغرباء الذين خالطوهم زمانا طويلا كما استبان لي
 ذلك منهم بالتجربة

الباب الثامن

فما يتعلق برجوعي الى مدينة لاهور وبغدران تانسير
 وبالنجان المعد لتزول الغرباء فيه وبمدينة دلي وبانكارها
 القديمة وبالاثر المسمى كوتوب وبمدينة فيروز شاه لات
 وبالكهوف وبطائفة البارياس وبالفقراء الذين يأكلون رمم
 الادميين وبمدينة لوكتوو وبمدينة قسطنطيا والاصنام
 اليونانية والاصنام الحادثة وتربية الطيور ومقاتلة الفيلة
 وباللصوص المسمين نوع وبمدينة فيزاباد وبمملكة
 اود وبمدينة سلطانبور وبالرياح الحارة وينزل الامطار
 الدورية وبقصائد الشاعر المسمى رينغيدا واخلاق وطباع

اهالي

اهالى اقليم بنغالاه الواطى وبرجوعى الى مدينة قلعوطة
قد سافرت من مدينة كشمير فى خمسة وعشرين من شهر
اوقطوبر وكنت مجبوراً على أن اقطع تلك الطريق بعينها
التي سلكتها اقولاً وكنت اضطر من سلكوكى هذه الطريق اقولاً
وثانياً غير أن ضرورى بهذا الوادى كأنه حادث لم اراه غير هذه
المرّة فان ضرورى بتلك الطريق سابقاً فى زمن نزول الثلج
وانجماده والاّن حال تقطعه وذوبانه ويس مجاريه فتمكنت
من عمق الاماكن الغويصة التي كنت قد صررت بها حالة
تغطية الثلج لها فشهدت مدينة لاهور ثانياً مرّة وكانت
اذ ذلك فى غاية الهدوء والراحة وكان قبل ذلك ببعض ايام
قلائل قد ذبح نديم الملك امام عينيّه فى قصره المسجى دربار
وكان فيها اذ ذلك كثير من الانكليز منهم من هو ذاهب الى
مدينة قابول ومنهم من هو راجع منها وقت ما كانوا فى شدة
ظفرهم بأعدائهم وكانت وقايهم الانكليزية تتكلم فى شأن
الانبذة اللذيذة التي كانوا يستخرجونها فى مدينة قابول
ومقتضيات الحوادث الراهنة لا تمكننى من الاطلاع ثانياً
على اقليم بنجاب فكنت اتسلى عن ذلك بتفكيرى فى عدم
الوسائط التي توصلنى
وقدار تحلت من مدينة لاهور فى اخر شهر نوفمبر وكان

وقد أخذ الملك غائبا غير أن حضرة الجنرال كورت
 قدمني بنفسه امام الوزير الاعظم فأنعم عليّ بكسوة تشريف
 أحسن وأجود من الكسوة الاولى وسئلت هل حصل لي
 السرور من ذلك الوادي وهل عومت فيه بأحسن
 المعاملات ثم سئلت ثانيا هل حصل لسكان ذلك الوادي
 سرور من حاكمه وعند استماعي الجنرال كورت وهو
 يقول لي هذه العبارة اما من جهة هذا الغرض الاخير فلا بد
 من أن تجيب عنه بحقيقة الحال بلا تمويه حصل عندي
 دهشة وتجب فقلت له اني سمعتهم دائما يثنون عليه الثناء
 الجميل وانما لا يمكنني أن اتشكى منه ابدا لان الحاكم لا يمكن أن
 يكون كفيلا بالمضرة والاساءة التي كابدتها في بلاده
 فاستحسن مني هذا الجواب وقبلته نفسه أحسن القبول لما
 فيه من الاثبات بالصواب

ولم يكن في ارتحالي من مدينة لاهور الى مدينة لوريانة
 فائدة حيث وجدت بلادها مثل البلاد التي جئتها قبل ذلك
 ببعض اشهر مع شدة الأمل والرغبة فلم اخرج منها على
 طائل

وكان قد اشتد البرد في لوريانة من مدة اشتداد اعظميا ومع
 ذلك فقد بدت عدة ليال نحت كبد السماء من غير خيمة فكنت

اجسد في صبيحة النهار برنومى منشورا بالثلج المتراكم فوقه
وصارت المياه تلجأ منجمدا وكانت الارض قد انجمدت
وامتلأت الأعماق والحفر بالثلوج وكان يلزم لى ان اسعى
واجتهد كل الاجتهاد في عمل برنومى آخر مثله في مدينة
اغرى ومن العجيب ان الجمال تبت الليل بلا واية تحفظها
من البرد ولا يظهر عليها التأذى بما تقاسيه من شدته اما
السياح الذى يرغب في الاطلاع على الآثار القديمة الهندية
فانه لا يجيد في طريقه الموصلة من لوديانة الى مدينة
كورنول شياً من تلك الآثار يكون جليل الفائدة الا بركا
تسمى برك تانسير وهى واسعة جداً وعليها قنطرة قديمة
متصدعة توصل من البر الى جزيرة في وسط هذه البرك كان
يقعد فيها سلطان مسلم ويأمر باطلاق البارود على الهنود
الذين يغتسلون فيها ويشرف على هذه البرك من جهة الغرب
تل ممتدة وكانت تانسير هذه محل اشتعال نار الواقعة العظمى
التي انعقدت بين العائلة الكوروسية والعائلة الباندوسية
وانتهى الامر فيها بتسليم دولة الهندستان واقول كما قال
الشاعر بعد التعريب نظماً

هذى البلاد وصلتها واطالما كرت بها الكوروس والبندوس
كم اضر مواثار الوغى فيها وكم وبها استوى للغمور والمغروس

وكذا ملوك الارض طراكم بها عقدوا وغالم تحتمله طروس
 ولا شك ان هذه البرك العجيبة واشجار البنيان التي تظلالها
 والبراهمة المحترمين ذوى اللحاء الشائبة الذين يعمرونها والتل
 الذى يشرف عليها الذى كان من غير شك محل مخاطبة كرشنه
 مع ارجونه قد اقلت فى ذهني تصورات فى شأن سعادة تلك
 البلاد مع ما قاله باغا واجيتا من الاشعار اللطيفة ~~فمكنت~~
 او مل ان اجد بواسطة السؤال والتفتيش فى الاماكن
 القديمة بعض نسخ باقية من القصيدة المشهورة المنظومة فى
 منظر تلك البقاع ~~وامكن~~ ما حصل لى فى شأنها من الغرور
 لم يمكث الا قليلا وذلك ان هؤلاء البراهمة الذين يوجدون فيها
 مع انهم اعظم الخلاقي جهلا لا يجيبون من يسئلهم عن شئ مما
 الا يطلب الاحسان لا غير

ومدينة كورنول محطة واسعة تقيم فيها العساكر ومابين
 مدينة لوديانة وكورنول هن البلاد يحكمه رؤساء من
 الهنود مستقلون مع الاتحاد مع حكومة الانكليز وهى بلاد
 كثيرة الاشجار ويكثر فيها شوك القتاد والصوص التي
 كادت أن تكون هذه البلاد خربة بهم فينبما كنت
 امر بغاية اشجار اذ صادفت ستة فرسان متسلحين بالرمح
 يزعمون انهم خدم حاكم مدينة باثياله فسرت معهم مدة من

الزمن فلما ارادوني وتحققوا من حالي بمجرد النظر انفصلوا عني
وتأخروا في سيرهم ورأى قليلا واخبرت انهم بقرب تلك الغاية
قتلوا سواها ومع ذلك يندر تعدى هذه اللصوص على سياحي
الافرنج بل لا يوجد بلاد لسياحي الافرنج في غاية الامن
والطمأنينة مثل بلاد الهند وذلك لكون ارباب الحكومة
الانكليزية قد سلكوا في هذه البلاد مسلك الحكام الهندية
اعني في ترتيبهم لمشايع البلدان المسمين تانادار في أن
يقوموا بدفع جميع السرقة التي تحصل في بلادهم
وفي طريق هذه البلاد يشاهد الانسان خليجا انشاء
الشاه ناهور وخانات عجيبه جدد هاملوك المغول وهي
مسورة بأسوار عالية ومحصنة بابواب متينة فهي محفوظة من
ان يسطو عليها احد بل ان سطوة الحاكم الانكليزي تفوق
هذه الاسوار في الامن والحفظ وعبور الانسان على البلاد
الطائفة لقمبانية الانكليزي يعرف قدر الادارة الانكليزية في بلاد
الهند وليس لسيكس كان هذا الوادي ما يشغلهم من الاوهام
الفسادة عن أن يهملوا حقيقة هذه الحريات الجليلة ومع
ذلك فمن اطلع على تلك البلاد لا يمكنه حجز نفسه من أن يتذكر
مع التأسف امر الدولة القديمة المندثرة التي تدل على زوالها
بابقاء تراتيب عظيمة ومدن ظريفة وكثير من العمارات

الفاخرة

وبين مدينتي كورنول و دلى يوجد ثغر بلاد الهند
الانكليزية المرتب فيها ديوان الجمر وأهل هذا الديوان
لا يكشفون غالباً على امتعة الا فرنج الغير التجارية

وقد وصلت الى مدينة دلى التى لم يمكننى الاطلاع عليها فى
ذهابى فوجدتها اكثر مدن الهندستان عمارة قديمة منها
ما ينسب للهنود ومنها ما يعزى للإسلام واشهر هذه الآثار
اثر يسمى كوتوب وهو عودا شيخ واطول الاعمدة
الموجودة وبجواره حوش مربع مصنوع من صفوف اعمدة
باقية عليها آثار اشكال وكذلك بعض الاجار الساقطة من
حيطانه البالية وفيها ايضا صور آلهة هندية وفى وسط هذا
الحوش دعامات من النحاس الاحمر مكتوب عليها علوانان
اصليان قد اخذت صورتها بالطبع والنسخ وأما العلامود
الاكبر المسمى كوتوب فهو متكون من اجار وردية اللون
مخلوطة ببعض اجار بيضاء ومملوء بالنقوش القديمة الغريبة
وكذا ابواب ذلك الحوش الذى فيه هذه الدعامات

ويوجد فيها اثر آخر غريب جداً وهو صنم فيروز شاه على سفح
جبل وسط آثار رديئة الشكل وعليه نقشان واضحيان الاول
الذى فسره الخواجه قلوبق مكتوب بحروف دوانا غاربه

وكما سبلة القراءة ما عدا بعض احرف في الآخر وكان قد نقله
في كتابه مستوفيا

فنقلت صورة النقش الاخر المطبوع بالجر
وبجوار هذا الصنم يشاهد من جهة آثار مدينة قديمة
وعامود كوقوب ومن جهة اخرى المسجد الاعظم والقصور
التي في مدينة دلي الجديدة وهذه المدينة فاخرة ايضا بالنظر
الى كل من آثارها القديمة وعماراتها الجديدة ولا بد من أن
توقع في قلب الناظر خزانة في شان الافتخار الذي يوجب العمل الماسر
الجليلة ولم يزل ايمبراطورها يلعب نفسه بسلطان السلاطين
كما كان يلعب به في زمن محكمه على الهندستان بأسرها
وعلى مدينتي قباول وكشمير وليس هو الآن الا عاملا من
جلة عمال التمبانية الانكليزية وقد رأيته في ~~ا~~ كبر عياد
من اعياد المسلمين التي ينبغي له أن يظهر فيها القدر والاهية
محمو با بخفر قليل جدا في هيئة رديئة فلبث برهة من الزمن
بقربه فرأيت قد وضع باطن كفه في يد رجل انكليزي وبقرب
المدينة بمسافة قليلة يوجد قصر كان قد استعمل مدة
من الزمن وصداخنة وولجت في غار ظلم يزعمون أنه يسكنه
شيطان فرأيت انه يعمره ابن آوى والخفاش التي كانت تطير
من أوكارها وتصدني في وجهي فحملت المصباح بنفسي

وولجت فيه امام من كان معي ولم يمكنني أن اغلب على عقل
خادمي ليدخل معي ويقتني اثرى فيه فرأيت داخل ذلك الغار
كلما سلكت فيه يضيق شيئاً فشيئاً حتى وصلت الى مكان
لا يستطيع الانسان ان يتجاوزمه ولو حبوا وطيران الخفافيش
في هذا المكان المظلم وتعمير ابن آوى احدث اصواتاً مخيفة
صاحلة لأن تلقى في عقول هؤلاء الهنود السيئين الاعتقاد
الريب والفرع ولم يجتهد أحد في ان يدخل الى انتهاء هذا
الغار ويوجد في جميع قصور اهل دلي مجازات ارضية
مثل ذلك الغار معدة لأن تدخل الهواء الرطب في الامكنة
الداخلية من الديار وكنت آمل بالولوج فيها ان اجد قاعة
كالقاعة الارضية التي توجد تحت حصن مدينة الله اباد
المستودع فيها آثار من آثار عبادة الهنود الدينية وكان من
سعادة حظي ان خرجت من ذلك الغار الارضى من غير أن
تلدغني العقارب او الثعابين

فبعد أن اتت شبرا في مدينة دلي عدت الى السياحة
ثانياً فوجدت خيمي التي استودعتها حال ذهابي لقصد
تحقيق انشالي لاجل سرعة الانتقال الى مدينة لاهور
فنفعتني هذه الخيمة نفعا عظيماً وكنت حينئذ قد عرفت تلك
المدينة ولغايتها وتمتع فيها مدة اقامتي بأظرف آخرايام

سباحي ثم سافرت الى مدينة دلي وقت تبيل الصباح
وسرت حتى وصلت المحطة ونزلت فيها فوجدت خيمتي
منصوبة وكذا الكلي وسفرتي وكتبي حاضرة وكنت كل يوم
انزل في هذه الخيمة ببلاذ جديدة وكنت في المساء احظى
باقبال اهل القرى على قصد الزيارة والتسامر معهم حيث
كانت هذه العادة في السياحة هي المعتادة للسياحين من
الافرنج في تلك البلاد وان كانت هذه العادة اطول العادات
الا انها أليق واقل تكلفا من غيرها ولا سبيل الى استفادة
اخبار في شأن تلك البلاد الا بهذه الوسيلة وانما يتأسف من
كون تلك الاخبار غير عظيمة الاهمية وذلك لان اهلها لهم
رغبة عظيمة في استماع الاخبار الاجنبية دون ان يخبروا
بشيء مما ولما علم بعضهم من اتباعي اتي قوبلت بأحسن مقابلة
من الحكام الانكليزية هرعوا الي لكي يترجعوني في ان
اكون واسطة عند الحكام ومع ذلك فلم يكونوا الا اناسا
مجردين عن الاشغال من اهل القرى فيقصدون بالوفود الى
خيمتي مجرد التريض وزيارتي مجرد اتقضاء الوقت فكانوا
يجلسون أمامي ويشخصون بأعينهم الي واذا ابتكرتهم
بالخطاب انصرفوا عني بغير جواب وكنت اهتم بضرب
خيمتي في جوار مساكن البراهمة وال دراويش من الهندود

وان لم تكسبني مجاورتهم فوائده كثيرة فكانوا يستنكفون
 عن مخالطتي لعدم اكتسابهم مني شيئا من الرويات وكنت
 اسمعهم يذكرون مدة ساعات متوالية بعض كلمات مفردة
 ينطقون بها من الالف بالعرف ويرفعون بها اصواتهم حتى
 لا يجد الانسان سبيلا الى النوم ويدنو الانسان وقربه منهم
 ومن مساكنهم يقف على تفاصيل معيشتهم القديمة
 وعوائدهم واخلاقهم المقررة في الكتب ومنظر هذا الوادي
 بل وسائر الحوادث اليومية يذكرونها كذا الانسان باحوال
 بلاد الهند القديمة وباشعارها التي يسردون في ضمنها
 حكايات فكنت اسمع قوار يخبرهم المستطيلة الممزوجة
 بحكايات أخرى تولد عنها بالمناسبة قوار يخبر جديدة وهكذا
 كما في الكتاب المسمى هيتوبادوسا ومتى انتهت الحكاية
 سئلوا انفسهم عن فهم ما قالوه ولا يجابون دائما الا بعدم
 الفهم ولا يهتمون بالاصغاء للمتكلم وفي الغالب ينام كل
 من المحدث والسامع

وقد شاهدت في بعض الاحيان عدة بيوت خربة ومتباعدة
 عن القرى فسألتهم عن سكانها فألقوا عني وجوههم لفتة
 كآبة ولم يجيبوني بشيء مما فقهمت أن سكانها هم الطائفة
 الباراسه الذين يقيمون مدة النهار في تلك البيوت الصغيرة

الرديئة المتخذة من الطين ويخرجون منها في الليل ليجنوا عن
ما يقتاتون به من الحيوانات الميتة ولا شيء أغرب وأقبح من
هؤلاء الناس المحقرين ذوى الثياب الزنة الذين يعيشون وسط
القاذورات والافساخ وبحسب الظن انه يوجد اناس اغنياء
من تلك الطائفة فانك تجد اناسا ممن اضاعوا احرقتهم والتحقوا
بجرفة اخرى محجورة عليهم يعودون الى طائفتهم بواسطة
مبلغ يدفعونه من الدراهم

وقد سمعت من اناس أن الدراويش الهندية تقنات برهم بنى
آدم ولا كفى لم اشاهدهم البتة ولم يخبرني احد ممن يوثق
بكلامه بهذه الفعلة الذميمة المضادة بالكلية لقوانين البراهمة
واخلافتهم للطيفة وعندى ان عزو ذلك لهم ليس الا محض
اختراع نيمة من المسلمين

وقد ذكرت فيما مر صورة ما يلزم من المصاريف لهذه الرحلة
على وجه التفصيل الكلى والآن قد جرت شدة لزومها
للسواح فطالما تأسفت من كوني فقيرا لا استطيع ان
استأجر احدا من البراهمة او الهنود يرافقني ويسهل لي
استكشافاتي ومطالعاتي في كتب الهنود

ومن اغرب المدايق الهندية مدينة لوكتوو وهى الآن
تحت حادى لمملكة اود وهذه المدينة تنقسم الى مدينتين

قديمة وجديدة اما المدينة القديمة فهي كبقية المدن الكبيرة
 ببلاد الهند يعني انها تشاهد من بعد ان هذات منظر بهج
 بسبب القباب المذهبة المشيدة في عماراتها ولكن في داخل
 هذه المدينة طارات محدودة بحيطان مظلمة وحوائيت
 صغيرة مسقوفة بالقش والغاب وفي وسط الحارات مشتقع ماء
 راكد ذو عفونة يخلطونه بومخ هوكا (اعني عود الدخان)
 وبالسمن المغلي فيتركب منها عطر لخصوص المدن الهندية
 لا ينسى الانسان رائحته واما منظر الحارات التجارية التي
 تعقد فيها الاسواق فهي بهجة المنظر لاسيما في المساء حيث
 يزداد منظرها بهجة بسبب لمعان المصابيح وتلاعب اضوائها
 وانوارها

واما المدينة الجديدة فحاراتها ذوات قواصر وقصور قليلة
 الارتفاع الا انها فاخرة البناء حتى لا يظن الانسان وهو بعيد
 عنها انه يوجد في هذه المدينة شيء من هذه العمارات
 وتسلسل بنيان معجدها واتصاله بقصرها وبابها المسمى بباب
 رومة والقصر الصغير الحادث يتركب منه سلسلة عمارات
 بهجة تذكر السواح عند مشاهدتها بالجهة المسماة لورة
 وبالحارات الظرفية بمدينة باريس ومدينة لوكتوو
 مملوءة بالاولاد القديمة والجديدة حتى انه يوجد فيها عمال

على صورة هرقل وابلون ووينوس اى الزهرة
والزراعة والراعىات المنسوبة لكل من الملك لويز الرابع عشر
ولويز الخامس عشر وفيها الناس يبيعون الماء اللطيفة وهم
يضربون بطاسة من نحاس فوق بعضها كأنهم ينادون بها
كما يفعله ياعو الجوز الهندي وكذا ياعو الخضار والفواكه
لترغيب المشتري ومتى تعود السياح الفرنساوى مدة على
رؤية وجوه ابناؤها على ملابسهم يمكنه ان يتسلى عن بلاده
ويتخيل انه مقيم بمدينة باريس

وعلى البعد من مدينة لوكتوو بفرنسجين يوجد القصر
المسمى قسطنطينيا وهو قصر كان قد بناه الخزال لامر تبدير
لاجل الحاكم المسمى نايب الذى لم يدفع له ثمنه وقد صار
الآن رمسا له و ~~يمكن~~ للإنسان مدة شهر أن يقيم فيه
من غير مقابل واذا لم يطلب احد من السياحين القول فيه
يمكنه ان يمكث زمنا طويلا على حسب ارادته وبحسب الظن
ان هذه العمارة الاجسانية سيؤول امرها بتقادم الزمن
الى أن تصبح كأمثالها من العمارات الموقوفة فانهم قد شرعوا
منذ مدة في توفير المصباح الذى يضىء على القبر وعلى السلام
التي بها يغزل الانسان

وكان ملك اود يحجى بذلك الوقت اشغالا عظيمة

بمعرفة مهندس انكليزي فشيده له رصد خاتمة في ارض
منخفضة فأخبرني المهندس المذكور أنه لا يمكن مشاهدة
النجوم في هذه البلاد الا بارتفاع زائد مشرف على الافق
لما أن الابجرة التي تنعقد في الجو تمنع من مشاهدة الكواكب
ولكن مصاريق هذه العمارة انما هي على الملك
المذكور

وفي مدينة لوكتوو محل لطيف يشتمل على جملة
من الطيور الغريبة وعلى مقدار عظيم من الثمرة محبوس
في اقفاص من خشب وقد تهرب في بعض الاحيان من تلك
الاقفاص ومنها ثمرة مستأنسة جدا لا تنفر من الملاعبة
بالمس ونحوه ومنها ثمرة لم تنزل باقية على توحيثها
وقد شاهدت مقاتلة الافعال التي تحبها الهندود وذلك انهم
يحضرون فيلين ويحترشونهما على بعض فيمتنعان اولاً عن
المقاتلة وبعد ذلك يهيجان بالتدريج بسبب ضرب خفرائهما
ويحريض المتفريجين عليهما فيثبان على بعض ويتصادمان
مصادمة عنيفة ومتى اشتد القتال بينهما وظهر فضلوهما
عن بعض باطلاق بعض صواريخ

وقد شاهدت في مدينة لوكتوو بعض لصوص يسمون
توغ (اي الخناقين) كانوا في السجون فسألت واحدا منهم

كان يستميل القلوب بكلامه وافعاله وطلاقة وجهه عن عتة ما خنقه من الناس فأجابني من غير تردد ولا خوف بأنه خنق نحو خمسة واربعين او خمسين نفسا ولم يكن عمره اذ ذاك اكثر من خمسة وثلاثين سنة فسألته ان يبين لي كيفية ذلك ولولا التجرب في قضى فأبى وامتنع اما احتراماً لي او خوفاً من أن يتهم بالتجدي في قضيته وكانت جميع الناس قد اشاعت بالقبض على هؤلاء الاشقياء كبار الذنوب الذين يخنقون الناس لقصد السرقة ولترض آلهتهم المسماة كلى ويتكلمون في شأن هذه الافعال الذميمة الصادرة منهم كما يحكي الصياد في شأن صيده ويتكلمون ايضا في شأن اماكن جديدة ترغب السياحون في الاطلاع عليها فكانها احبولة لاقتناص السياحين

وقد اتضح من تحقيق دعاويهم السيئة انهم يتفقون مع بعض على اسم الليل ويجمعون طوائف من بلاد بعيدة في محل معين قبل ذهابهم للسرقة بمدة طويلة وانهم يسطون على قوافل السياحين بهذه المثابة وانه بمجرد اعطاء علامة التعدي المتفقين عليها يخنقون منهم مقدارا جسيما دفعة واحدة ولهم لغة اصطلاحية متعارفة بينهم وزعم بعض الناس أن هؤلاء اللصوص قد قننوا لجمع سرفتهم قانونا في مغارات بقرب

مدينة بومباي تسمى مغارات ايلورا وصارت الآن
 القمبية الانكليزية تبذل مجهودها في قطع دابرهم بالكلية
 ولم تزل ارباب الحكومة من الهنود تبحث مع التراخي
 عن القبض عليهم حتى ان اغلب هؤلاء الحكام كانوا يحامون
 عنهم في السر بشرط أن يتقاسموا معهم ما يجعونه من السرقة
 فاستكشف الآن اهل القمبية أن الحكام المتكفلين بضبط
 القرى لهم اتفاق وتعاقد مع هؤلاء اللصوص
 ولم تزل قباية الانكليزية تتبع اللصوص المسلحة لقطع الطريق
 المسمين ذا كوت تتبعازندا القصد قطع دابرهم فقد كفلت
 ضباطا ماهرين لهم معرفة تامة في لغة هذه البلاد والزمهم
 بوظائف خصوصية لذلك اعنى لقطع دابرهم
 ومدينة فيزباد هي تحت مملكة اود القديم والطريق
 الموصلة من لوكنو الى فيزباد ظريفة جدا
 ومزروعة بمجامع اشجار المانغية وهي الآن محل نزهة داعي
 وتلك المدينة لم تزل حافظة على اثمارها العظيمة كيف لا وقد
 واقف الاسم المسمى اذ معنى فيزباد مدينة الابهة والبا
 وفيها ايضا سوق جميل جدا وعمارات مهمة غير أنها لا تشتمل
 على شيء من غرائب الابهة
 واما مدينة اود الموضوعة على البعد من مدينة

فيزاباد بفرسخين فهي مدينة هندية على نط مدينتي
 مانور وبندرابند في البناء والمنظر وليس فيها شيء غريب
 يفوق ما في هاتين المدينتين اللتين يفوقان عليهما من كل
 الوجوه وقد كانت فيما سبق من اجل مدائن الهند
 وقلعتها صورة على الملك رامة ويطاعون السياح على
 جبال صغيرة واطلال قديمة يزعمون انها كانت مساكن
 رامة وزوجته سيتا وخادمها لاشمانه ورئيس
 القردة المسمي انومان وفيها كثير من القردة المقدسة
 وهذه المدينة مملوءة بكافي مدن الحج الهندى بكثير من
 الدراويش الذين لا يشتهغلون الا بالاغتسال وتلاوة
 الصلوات والاوراد وتحبيل النساء اللاتي تكون ازواجهن
 اعنة او عاجزين عن الوطى فتذهب الازواج بنفسها اليهم
 لاجل اداء هذه الفعلة الذميمة

ومنظر الطريق الموصلة من فيزاباد الى مدينة سلطانبور
 هو عين مناظر طرق جميع بلاد اود اعنى في كثرة الاشجار
 وفي المظلات الحسنة تحت فروع اشجار المانغية
 في جميع اماكن الطريق ويتصل بمدينة سلطانبور نهر
 يسمى غوغرا وفي هذا النهر اجار مغطاة بقليل من الطين
 ويقال انها قنطرة كان قد شيدها قردة الملك رامة حين

رجع الى مدينة اود بعد فتحه لجزيرة لانكاو كنت لا اظن
 الوقوف على اثار خرافية مثل هذه الاثار بمشاهدة مجموع
 تلك الاجار وتشتغل ايضا على خمسة شيوخ من الاسلام
 كانوا قد استشهدوا في الغزاة وحكاية قتلهم المتواترة بين الهنود
 تعد من المذهبان وليس ثم فائدة من عمارة قبورهم الا ما يصل
 الى خادmega حيث يأخذ النذور والوظائف المرتبة على
 الججاج منهم وقبل الوصول الى مدينة سلطانبور يجد
 الانسان مجارى سيول عظيمة وتلالا من التراب جسيمة
 وقد شاهدت امثال هذه التلال عنها بجوار جميع المدن
 العظيمة ولا ~~ي~~كنى أن اعرف سبب تجمعها الذي لا بد
 وان يكون محض امر عارض

وقد ارتحلت من مدينة سلطانبور في خمسة وعشرين
 من شهر ايار مفارقا اخصاى الذين قابلتهم في بلاد الهند
 واكرموني فابتكر في الندم على مداومى للسباحة
 واقطاعى عن الرفاق والوطن وكانت الريح الحارة بذلك
 الوقت قد هبت على في ذلك القطر مع الشدة فانظر ما مقدار
 الرياح والفرطونات المستمرة من الساعة السابعة من النهار
 الى المساء وتشير زوايا عظيمة عملا الفراغ من جميع الجهات
 وتجبب الطرف عن مشاهدة السماء فيكابد الانسان منها

ما يكابده من الم الحتر لو كان داخل تنور فلا مسافر وقت
الصباح بل وقت السحر احسن له لما أن في باقي النهار لا بد
وان يصع الانسان على ابواب الخيام ابسطة على هيئة الستائر
وترش عليها المياه لاجل ان يمر بها الهواء فيصيرها رطبة
ففي هذا الفصل تحف الحشايش وتصير السهول الخالية
عن العيون اشبه بصحرا قله غير أن اشجار المانغية التي
هي ألطف الاشجار بهجة ومنظر في الهندستان حيث لم تزل
يانعة زاهية يتمتع الانسان بثمارها اللذيذة وبظلالها الرطبة
وتعتقد الهنود ان الجنة قد أعدت لمن يغرس شيئا من
هذه الاشجار

فاذا انقضت يوسنة تلك الرياح الحارة أعقبها انسجام الامطار
ثلاثة اشهر متوالية فيعذر على الانسان السفر في هذه الاشهر
حيث تصير جميع الاماكن تلك المثابة وتفيض الانهار فتصير
الغدران الصغيرة انهارا كبيرة حتى أن بعض الاقاليم يصير
مدة من الزمن اشبه بصحراء متسعة وتمتلأ الارض بضفادع
وهوام سمية وتنتشر في الجوف حشرات اشبه بالسحاب
ففي هذه المدة تأوى الحشرات داخل البيوت التي اضطرت
اصحابها الى فتحها خشية الحرارة وتضاعف العرق المستقر يصير
الانسان عرضة لأن يتلى بجمرة جذامية تسمى الحبات

التيجة التي ينشأ عنها ثوران البدن وهي جانه وفي هذا الفصل
بعينه يصاب الانسان سر يعايداء الكبد
وبعد فراغ فصل المطري يبقى الجو ايضا مستورا بالسحب وذلك
لما أن الشمس تبرز رطوبة الارض فتصير ابخرة يتكون منها
محاب ينعقد في الجوى يمنع الهواء فيصير القطر ذا حرارة
صعبة وينشأ عن الابخرة المتصاعدة وكذا تحليل رعم
الحيوانات الكثيرة حتى وبائية

وبالجملة فيعتب هذا الزمن الردي فصل الشتاء فيجتمع فيه
الناس بمثل ما في فرانس من اعتدال مزاج القطر وصحو الزمن
ففي هذا الفصل الظريف تشرق الشمس بعد أن يسبقها
انبلاج الصبح اللطيف ويصير الجوى صفوا خاليا عن الاوادم
رطب المزاج فتكون بذلك بلاد الهند أطف واحسن البلاد
وفي تلك البلاد ينبت القمح وكذا باقي الحبوب الغذائية
ويبدو صلاحها فانهم يرمون الابزار ويزرعونها في الارض
في شهر اوقطوبر ويحصدونها في شهرى مارث وابريل

وحين تأخذ الريح الحارة في الهبوب يعلو على مطلع الشمس
ابخرة كثيفة تكاد ان تحجبها عن الطرف بالكلية واذا قرب
فصل الامطار تراكت غمامات عظيمة كالجبال مصحوبة
بالبرق والرعد وظهرت علامات تدل على اقبال تلك الامطار

الشبيهة بالطوفان الخيفة التي تغمر جميع الهندستان وهذه
 الامطار هي سبب خصوبة الارض ولولاها لكانت بلاد
 الهند صحراء قفرة وفي هذا الفصل يحصل ايضا نمو المواشي
 حيث يوجد على الارض ما يقتات به من الحشائش
 والاعشاب الثابتة فلذا كان جميع حوادث القرطونات
 والرياح العاصفة الشديدة الهبوب في جميع الاماكن تقابل
 في الهند بانواع تهليلات الافراح وافعال الشناء والشمس
 ولما كانت هذه الحوادث الطبيعية غالبية على عقول الشعراء
 من منذ احقاب بخالية اطنب في وصفها الشاعر ربيع ويدا
 في قصائده المتعلقة بمدح الشمس والشفق وايام الصحو
 من السنة والهمة الهواء المسماة ماروت الذين يرسلون
 القرطونات والامطار خصوصا التي يحدث عنها خصوبة
 البلاد واله الامطار المسمى اندرا الذي يتفضل عليهم
 بالغناء والمواشي ولا يوجد شيء من هذه الرياح الحارة ولا من
 هذه الامطار الدورية خلف المكان المسمى ايمانباواذي
 كشمير فانه لا يوجد هناك رياح حارة ولا امطار دورية فان
 المياه تجمد وقت الشتاء هنالك كما في اقطارنا وليس للامطار
 ثم في تلك الاودية الكثيرة الخصوبة كبير نفع بل تكون في غالب
 الاوقات بضمرة وينشأ عن القرطونات التي تكون في الجبال

تلوج تقع على الارض القحيلة اوصواعق تحرق اشجارا
او غابات بتمامها وفي مدينة قلقوطة واقليم بنغاله الواطى
توجد امطار دورية غير أنه لا يوجد الرياح الحارة فهذه
الاحوال **يكن** أن تبين لنا الاماكن التى عملت بصدد
القصيد

وبين مدينتى سلطانپور وبيناريس مدينة يقال لها وانپور
التى يوجد في سادون بلاد الهند القنطرة المبنية بالا حجار فان
ارض بلاد الهند بسبب كثرة رملها وفيضان الانهر فيها تمنع
الهند من بناء قناطر بالا حجار وربما غرقت هذه القنطرة
بالكلية في بعض السنين التى يكون فيها فيضان المياه خارقا
للعادة ولم تزل قلعة هذه المدينة متسلطنة عليهم مع قدمها
وتلاشى بعضها ولا ينتفع بها الآن في شئ ما وللانكليز على
هذه البلاد تحكم كلى حتى أن حاكمها الاصلى لا يمتاز عنهم
الابحرد الاسم

وقد قضيت فصل الامطار في مدينة بيناريس ثم رجعت
الى مدينة قلقوطة وانا شاهد المدن المختلفة التى على شواطئ
نهر **يكن**ك واعظم ما يرى اليه من احوال اقليم بنغاله
الواطى هو بقاء اهله على قبح الاخلاق وسوء التربية بالكلية
ففى البلاد العليا توجد اللصوص وانواع كثيرة من الروافض

غير أن لهم أقل ما يكون هيئة وقار في الخدمة وفي القيام
بوظائف الحكم وكذلك في البلاد المتقادة للشعبانية الانكليزية
من منمذمة طويلة فيستجيب الانسان من دناءة نفوس اهلها
وقلة حياهم وقد احدث الانكليز فيها مجرد الانتظام
الظاهري وكان الاولى لهم ان يحد ثوابها انتظام حسن
التربية وتهذيب الاخلاق لأن أول شوكة بين الهنود
انما هي مجرد نوع من الظلم يصير كالاكلة له اما الاصاغر من
الخدم والمستخدمين فعندهم دناءة النفس حتى في السرقة
وكذب وغش وارباب سكر قترى هؤلاء الطائفة متصفين
بأنواع المساوى الموجودة في الرتبة السافلة من الافرنج
ثم ان خادمي الذي صحبني من اهل البلاد العالية تطبع تلك
الخصال الذميمة مثلهم بعد أن اخبرني مرارا انه لم يعرف قط
احدا من هؤلاء الناس واما التجار فانهم حين ما ارتكوا
الى مجادلات المحاكم الانكليزية رفضوا سلوك الصدق
في مصطلحاتهم التجارية

وقد شاهدت جميع المدن التي على شاطئ نهر الكنك وانه
لا يوجد بها كما تقدم شيء من غرائب الآثار الهندية القديمة
وكانت مياه هذا النهر لم تزل مرتفعة جدا ولم تنحسر
عن النقوش الموجودة في مخور سلطان غنج فوصلت

الى مدينة قلقوطة في غاية شهر سبطمبر فاشتهقت فيها
 بتجهيز أدوات السفر الى وطني مع التأسف والحزن لما أن
 وسائلتي قد نفذت بالكيفية فاضطرت الى أن انظر الى تلك
 البقاع * التي كان يلزم لي مشاهدة كثير من احوالها
 وغرائبها نظرة الوداع * والاحظها بعين التأسف والافلاع
 * والى هنا انتهت سياحة الهند وكان تهذيب ألفاظها
 وتنقيحها * ومقابلتها بقدر الامكان مع مترجمها وتصحيحها *
 بمعرفة الفقير لرحمة ربه الجليل * محمد الفرغلي ابن اسماعيل *
 الطهطاوى * غفر الله له جميع المساوى *

مع ملاحظة حضرة البيلك ناظر قلم

الترجمة * ومدرستي التجهيزية

والالسنه * احسن الله

لجميع احوالهم *

وختم بالصالحات

اعمالهم *

امين

٤

وقد كل طبعها الجميل * وروثق رقها الذي ليس له مثيل *
 بدار الطباعة المصرية اليمية * احدى المآثر الخديوية
 الجلية * يوم الاثنين في عاشر شهر ربيع الثاني * سنة خمس
 وستين ومائتين بعد الالف من هجرة من اوتى السبع المثاني
 * صلى الله وسلم وبارك عليه * وعلى آله واصحابه ومن
 يتتبع اليه * وذلك في ايام ولاية دولة صاحب العز
 والاقبال * والسعد الطالع بالمجد
 والاجلال * حضرة افندينا الصدر
 الاعظم * الحاج عباس باشا
 المشير الانعم * متع الله
 الانام بدوام ايامه *
 وفقه الجميع بمسك
 ختامه *

امين

ع